أخبار عمر بن عبد العزيز (*)

نسبه

هو عمرُ بن عبد العزيز بن مَرْوان بن الحكم بن أبى العاصى بن أُميّة بن عبد شَمس بن عبد مناف . ويكنى أبا حَفْص .

أمه

وأُمه أُم عاصم بنت عاصم بن عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه .

أشج قريش

ويقال له : أشجّ قُريش ، لأنه كان فى جبهته أَثرُ ضَربة حافر .

رقة عبد الملك له

وكان عمّه عبدُ الملك بن مَروان يرِقّ له ويُدْنيه ، وإذا دخل إليه رفعه فوق ولده جميعاً ، إلّا الوليدَ بن عبد الملك . فعاتبه بعضُ بنيه على ذلك ، فقال : أوما تعلم لِمَ فعلتُ ذلك ؟ قال : لا . قال : إن هذا سَيَلى الخلافةَ يوماً ، وهذا أشجُ بنى مروان الذى يملأ الأرض عدلا بعد أن تُملأ جوْراً ، فمالى لا أُحبُّه وأُدْنيه !

خبر شجه وما كان بين أبيه وأمه

وقيل :

خرج عُمر بن عبد العزيز يوماً يلعب ، فرمحتْه بغلة على جنبيه ، وبلغ أُمَّه أمَّ عاصم الخبرُ ، فخرجت فى خَدَمها ، وأقبل عبدالعزيز إليها ، فقالت : أمّا الكَبير فيُكرم[1] ، وأما الصّغير فيُرْحم ، وأما الأَوسط[2] فيَضيع ، لِمَ لا تتّخذ لابنى حاضناً حتى أصابه ما ترى ! فجعل عبدُ العزيز يَمسح الدمَ عن وجهه ، ثم نظر إليها وقال : ويحك ! إنْ كان أشجَّ بَنى مروان ، أو أشجَّ بنى أُمية : إنه لسَعيد .

نظرته إلى أموال أهله لما ولى

ولما أفضت الخلافةُ إلى عمر بن عبد العزيز سَلك طريق العدل ، وخالف

(*) وقبل هذا ذكر أبو الفرج صوتا من مدن معبد فى شعر عنترة . ثم ذكر شيئاً من أخبار الحارث ابن خالد ، ثم عاد إلى أصوات معبد فى قتيلة ، ثم ذكر سبعة ابن سريج ، ثم أغانى الخلفاء وأولادهم .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أما الكبير فيخدم ، وأما الصغير فيكرم »

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وأما الوسط » .

بذلك طريقة أهله من بنى أُميـة ، وأَخذ نفسه بردّ المظالم ، و بدأ بلُحْمته وأَقاربه وأَخذ ما فى أَيديهم ، وسمَّى أموالهم[1] المظـالم . ففزِعت بنو أُمية إلى عَمّته فاطمةَ بنت مروان، فأَرسلت إليه : إنه قد عنانى أمرٌ لا بُدّ من لقائك فيه . فأتته ليلاً . فأنزلها عن دابّتها . فلما أخذت مجلسَها، قال : يا عَمّة، أنت أولى بالكلام لأنّ لك الحاجةَ، فتكلمى . فقالت : تكلَّم أنت يا أمير المؤمنين . قال : إن الله تبارك وتعالى بعث مُحمداً صلَّى الله عليـه وسلَّم رحمةً ، ولم يبعثه عذاباً ، إلى النـاس كافّة ، ثم اُختار له ما عنده فقَبضه إليه ، وترَك لهم نهراً شِرْبُهم فيه سواء . ثم قام أبو بكر رضى الله عنه فترَك النهر على حاله . ثم وَلِى عُمر رضى الله عنه فعَمِل على أمر صاحبه . فلمـا وَلِى عُثمان رضى الله عنه اُشتق من ذلك النهر نهراً . ثم ولى معاوية بن أبى سفيان فَشقّ منه الأنهار . ثم لم يزل النهرُ يَشُق منه يزيدُ ومَروانُ وعبدُ الملك والوليدُ وسليمان حتى أفضى الأمرُ إلىّ وقد يَبِس ذلك النهرُ الأعظم ، ولن يَرْوَى أصحابُ النهر حتى يعود إليهم النهرُ الأعظم إلى ما كان عليه . فقالت له : قد أردتُ كلامَك ومُذاكرتك ، فأمّا إذا كانت هـذه مقالتَك ، فلستُ بذاكرةٍ لك شيئاً أبداً . ورجعت إليهم فأبلغتْهم كلامَه وقالت : ذُوقوا مَغبَّـة أمركم فى تَزويجكم آلَ[2] عمر بن الخطاب .

هو وكثير والأحوص ونصيب

وحكى حمّاد الرّاوية قال :

دخلتُ المدينـةَ أَلتمس العِلْم ، فـكان أوّل مَن لقيتُ كُثيِّر عَزَّة ، فقلت : يا أبا صَخر ، ما عِندك من بضاعتى ؟ فقال : إنّه لمّا كان من أمر عُمر بن عبد العزيز ما كان ، قَدِمْتُ أنا ونُصيب والأحوص ، وكُلّ واحدٍ منّا يمُت بسابقته عند عبد العزيز ، و إخائه لعمر ، وكان أولَ مَن لقيناه مَسْلمةُ بن عبـد الملك ، فأَحسن ضيافتَنا وأكرم مَثوانا ، ثم قال : أمَا علمتُم أنّ إمامكم لا يُعطى الشُّـعراء شيئاً ؟

(١) فى بعض أصول الأغانى : « أعمالهم » . (٢) فى التجريد : « إلى » .

قلنا : قد جِئنا الآن ، فأُفتح لنا فى هذا الأَمر وجهاً . فقال : إن كان ذو دِين من آل مَروان قد وَلِى الخلافة فقد بَقى مِن ذوى دُنياهم مَن يقضى حقَّكم و يفعل بكم ما أنتم له أهل . فأقمنا على بابه أربعةَ أشْهُرٍ لا نَصِل إليه ، وجَعل مَسلمة يَستأذن فلا يُؤْذن له . فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفَّظت من كلام عُمر شيئاً ! فأتيتُ المَسجد ، فأنا أوّل من حَفِظ من كلامه ، سمعتُه يقول فى خطبته : لكُلّ سَفر زاد لا محالة ، فتزوَّدوا من الدُّنيا إلى الآخرة التَّقوى ، وكُونوا كمن عايَن ما أعدَّ اللهُ من ثوابه وعِقابه ، فعَمِل طلباً لهذا وخوفاً من هذا ، ولا يطُولنّ عليكم الأَمد فتقْسُوَ قلوبُكم وتنقادوا لعدوِّكم ؛ واعلموا أنه إنما يَطمئنّ بالدُّنيا مَن وثق بالنجاة مِن عَذاب الله فى الآخرة ، فأمّا من لا يداوى جُرحاً إلّا أصابه جرحٌ من ناحيـة أخرى ، فكيف يطمئنّ بالدنيا ! أعوذ بالله أنْ آمرَكم بما أَنهى نفسى عنه فتَخسَر صَفْقتى ، وتبدُوَ عَيْلتى . وتَظهر مَسكنتى ، يوم لا يَنفع إلّا الحقُّ والصدق . فارتجّ المسجد بالبُكاء . وبكى عمر حتى بلّ ثوبه وحتى ظَننا أنه قاضٍ نَحْبَه .

قال كُثيِّر : فبلغت إلى صاحبىّ فقلت : جَدِّدا لعُمَر من الشِّعر غيرَ ما أعددتماه ، فليس الرجل بدُنيوى .

ثم إن مَسلمة اُستأذن لنا يومَ الجمعة بعد ما أُذِن للعامة . فدخلنا كافَّة ، فسلَّمنا عليه بالخلافة . فرَدَّ علينا . فقلتُ له : يا أمير المؤمنين ، طال الثَّواء وقَلَّت الفائدة ، وتَحدَّثت بجفائك إيّانا وفودُ العرب . فقال : يا كُثيِّر ، أما سمعتَ إلى قول الله عزَّ وجلّ فى كتابه : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) .

أفمن هؤلاء أنت ؟ فقلت له : وأنا ضاحك : أنا ابنُ سبيل ومُنقطَعٌ به . فقال : أولستَ ضيفَ أبى سَعيد ؟ فقلت : بلى . قال : ما أَحسب مَن كان ضيفَ

أبى سعيد ابنَ سبيل ولا مُنقطعاً به . ثم استأذنتُه فى الإنشاد . فقال : قُل ولا تقُل إلّا حقًّا ، فإن الله يسألك . فقلت :

وَلِيتَ فلم تَشْتُمْ عليًّا ولم تُخِف ... بَرِيئاً ولم تَتْبَع مقالة مُجْرِم
وقلتَ فصدَّقت الذى قلتَ بالذى ... فعلتَ فأمسى راضياً كُلُّ مُسلم
ألَا إنّما يَكفى الفتَى بعد زَيْغه ... من الأَوَد البادى ثِقَافُ المُقوِّم
وقد لبستْ لُبْسَ الهَلُوك (١) ثيابَها ... وأبدت لك الدُّنيا بكفٍّ ومِعْصم
وتُومِض أحياناً بعينٍ مَريضةٍ ... وتَبْسِم عن مِثْلِ الجُمان المُنظَّم
فأعرضتَ عنها مُشمئزًّا كأنما ... سقَتْك مَدوفاً من سِمَام (٢) وعَلْقم
وقد كنتَ من أَجبالها فى مُمَنَّع ... ومن بَحرها فى مُزْبِد الموج مُفْعَم
وما زِلْتَ سبَّاقاً إلى كُلِّ غايةٍ ... صَعِدْتَ بها أعلى البناء المقدَّم
فلمَّا أتاك المُلْكُ عفواً ولم يكن ... لطالبِ دُنيا بعده مِن تَكَلُّم
تركتَ الذى يَفْنَى وإن كان مُونِقاً ... وآثرتَ ما يَبقى برأىٍ مصمِّم
فأضررْتَ بالفانى وشمَّرتَ للذى ... أمامَك فى يومٍ من الشَّرّ (٣) مُظْلِم
ومالَك أن كنتَ الخليفةَ مانعٌ ... سوى الله من مالٍ رغيبٍ ومِن (٤) دَم
سَمَا لك هَمٌّ فى الفُؤاد مؤرِّقٌ ... صعدْتَ به أعلى المَعالى بسُلَّم
فما بين شرقِ الأرض والغرب كلِّها ... مُنادٍ ينادِى من فصيح وأعجم
يقول أميرُ المُؤمنين ظلمتَنى ... بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذِ درْهم
ولا بَسطِ كفٍّ لامرىء ظالمٍ له ... ولا السفكِ منه ظالماً مِلْءَ مِحْجَم
فلو يَستطيع المُسلمون لقسَّموا ... لك الشَّطر من أعمارهم غيرَ نُدَّم
فعِشْتَ به ما حَجَّ لله راكبٌ ... مُغِذٌّ مُطِيفٌ بالمَقام وزَمْزَم

(١) الهلوك : المرأة الفاجرة المتساقطة .
(٢) المدوف : المخلوط . والسمام : السم .
(٣) فى غير التجريد : « من الهول » .
(٤) فى غير التجريد : « ولا دم » .

فأَرْبِحْ بها من صَفْقَةٍ لمُبايِع وأَعْظِمْ بها أَعْظِمْ بها ثم أَعْظِم

فقال لى : يا كُثيِّر ، إنّ الله سائلك . فأنشده :

وما الشعرُ إلّا خُطبةٌ من مُؤلِّفٍ بمَنطق حقٍّ أو بمَنطق باطلِ
فلا تَقبلنْ إلّا الذى وافق الرِّضا ولا تَرْجِعَنَّا كالنِّساء الأَرامل
رأيناك لم تَعْدِلْ عن الحقِّ يَمْنةً ولا يَسْرَةً فِعْلَ الظَّلوم(١) المُخاتِل
ولكن أخذتَ القَصْدَ جهدكَ كُلَّه وتَقْفُو مثالَ الصالحين الأَوائل
فقُلنا ولم نَكْذب لما قد بَدا لنا وَمن ذا يرُدّ الحقّ مِن قَول عاذِل
ومن ذا يرُد السهمَ بعد مُروقه على فُوقه إن عار(٢) مِن نَزْع نابل
ولولا الّذى قد عوَّدتْنا خلائفٌ غَطاريفُ كانوا كاللُّيوث البوَاسل
لَما وَخدتْ شَهراً برَحْلَى جَسْرةٌ تَفُلّ مُتونَ البيد بين الرَّواحل
ولكنْ رجَوْنا منك مثل الذى به صُرفنا قديماً من ذَويكَ الأفاضل
فإن لم يكن للشِّعر عندك موضعٌ و إن كان مثلَ الدُّرّ مِن قول قائل
وكان مُصيباً صادقاً لا يَعيبه سِوى أنه يُبْنَى بناءَ المَنازل
فإنَّ لنا قُرْبى ومَحْضَ مَودَّة وميراثَ آباءٍ مشَوْا بالمَناصل
فذادُوا عدوَّ السِّلْم عن عُقْر دارهم وأَرْسَوا عِماد(٣) الدِّين بعد تمايُل
فقبلَك ما أعطَى الرسولُ هُنيدةً على الشِّعر كَعْباً من سَدِيس(٤) و بازل
رسولُ الإلٰه المُصطفى(٥) برسالةٍ عليه سلامٌ بالضُّحى والأَصائل
فكُلّ الذى عدَّدتُ يَكفيكَ بعضُه ونَيلُك خيرٌ من بُحور سوائل

(١) فى غير التجريد : « المجادل » مكان « المخاتل » . (٢) عار : طاش .
(٣) فى غير التجريد : « عمود » .
(٤) الهنيدة : المائة من الإبل . والسديس : مادخل من الإبل فى السنة الثامنة . والبازل : ما انشق نابه ، وذلك فى التاسعة . والرواية فى غير التجريد : «فقبلك ما أعطى الهنيدة جلة » .
(٥) فى غير التجريد : « بنبوة » مكان « برسالة » .

فقال عمر : يا أحوص ، إن الله سائلُك عمّا قلتَ .

ثم تقدّم نُصيب فاستأذنه فى الإنشاد . فأَبى أن يأذن له وغَضب غضباً شديداً وأَمره باللحـــاق بدَابِق[1] ، وأَمر لى وللأحوص ، كُلّ واحـــد منّا بمائة وخمسين درهماً .

وفى رواية أنه قال :

ما عندى ما أُعطيكم ، فانتظروا حتّى يَخرج عطائى فأُواسيكم منه . فانتظرناه حتى خَرج عطاؤه ، فأمر لى وللأحوص لكل واحد بثلاثمائة درهم ، وأمر لنُصيب بمائة وخمسين درهماً . فما رأيت أعظم بركةً من الثلاثمائة التى أعطانى إيَّاها ، ابتعتُ بها وصيفةً وعلَّمتها الغناء ، فبعتُها بألف دينار .

تعقيب لابن واصل على بيت لكثير

قلت :

ومعنى قول كُثيِّر : «وليت فلم تشتم عليا ... ...» : أن مُعاوية بن أبى سُفيان كان هو وولاته على البلاد يسُبون علىّ بن أبى طالب على المَنابر آخر الخُطبة كل يوم جمعة ، وعُتب على معاوية فى ذلك وأنكره عليه جماعة . فامتنع من تَركه ، وقال : والله لا تركته حتى يكبُر عليـه الصغيرُ ويَشيب عليه الـكبير ، فإذ تُرك ، قيل : تُرِكت السـنَّة ! فاستمر الحال على ذلك مُدة أيامَ مُعاوية ، ويزيد ابنـه ، وأيام مروان بن الحـكم ، وابنه عبد الملك ، وأيام أبنيه : الوليد ، وسليمان ، أبنى عبد الملك . فلما وَلى عُمر بن عبد العزيز رضى الله عنه رَفع السبَّ وأبدله بقوله تعالى : (إنّ الله يأمُر بالعَدْلِ والإحْسَان وإيتاء ذِى القُرْبَى ويَنْهى عن الفَحْشَاء والمُنْـكر والبَغْى يَعِظُـكم لعلـكم تذكرون) .

(١) دابق : قرية قرب حلب .

فخرج أهلُ دمشق من المسجد وهم يقولون : تُركت السنة ! تُركت السنة ! فقال كُثير يمدحه :

وليت فلم تشتم عليا ... ... الأبيات

وحكى دُكين الراجز قال : هو ودكين الراجز

امتدحتُ عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة ، فأمر لى بخمس عشرة ناقة ، فكرهتُ أن أرمى بهنّ الفِجاج ولم تَطبْ نفسى ببيعهن ، فقدمتْ علىّ رُفقةٌ من مصر ، فسألتُهم الصُّحبة . فقالوا : ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلةَ . فأتيتُه فودّعته ، وعنده شيخان لا أعرفهما . فقال لى : يا دُكين ، إنّ لى نفساً توّاقة ، فإنْ صِرْتُ إلى أكثر مما أنا فيه فصِرْ إلىّ ولك الإحسانُ . قلت : أشهد لى بذلك . قال : أُشهدُ الله عزّ وجل به . قلت : ومِن خَلْقه ؟ قال : هذين الشيخَين . فأقبلتُ على أحدهما فقلت : مَن أنت أعرفك ؟ قال : سالمُ بن عبد الله بن عُمر بن الخطّاب . فقلتُ : لقد أستسمنت الشاهد . وقلت للآخر : مَن أنت أعرفك؟ قال : أنا أبو يحيى مولى الأمير . فخرجتُ إلى بلدى بهنّ ، فرَمى الله فى أذنابهنّ بالبركة ، حتى اعتقدتُ (١) منهن الإبلَ والعَبيد . فإنّى لبصحراء فَلْج (٢) إذا ناعٍ يَنْعَى سُليمانَ بن عبد الملك . قلت : فمن القائمُ بعده ؟ قال : عُمر بن عبد العزيز . فتوجّهت نحوه . ولَقينى جريرٌ مُنصرفاً من عنده ، فقلت : يا أبا حَزْرة ، مِن أين ؟ قال : مِن عند من يُعطى الفُقراء ويَمنع الشُّعراء . فانطلقتُ فإذا هو فى عَرْصة دارٍ قد أحاط به الناسُ ، فلم أخلُص إليه ، فناديتُ :

يا عُمَرَ الخيراتِ والمَكارمِ ... وعُمَرَ الدَّسائع (٣) العَظائمِ
إنّى امرؤ من قَطَنِ بن دارم ... طلبتُ دَيْنى من أخى مَكارم

(١) اعتقدت : اقتنيت . (٢) فلج : بين البصرة وحمى ضرية .
(٣) الدسائع : الشمائل ، أو العطايا .

إذ تَنْتحِى والليلُ [١] غيرُ نائم عنـد أبى يَحيى وعنـد سـالِم

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ عندى لهذا البدوىّ شهادةً عليك. قال . أعرفُها ، أدْنُ يا دُكين ، أنا كما ذكرتُ لك ، إن نفسى تَوّاقةٌ ، لم تنل شيئاً إلّا تاقت لما هو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدُّنيا فنفسى تَتوق إلى الآخرة . والله ما رزَأتُ من أموال الناس شيئاً ، وما عندى إلا ألفا [٢] درهم، فخُذ نِصفها . قال : فوالله ما رأيتُ ألفاً كان أعظم بركةً منه .

شعر متنازع بين دكين والسموءل

وقد قيل إن دُكيناً هو القائل :

إذا المرء لم يَدْنَس من اللُّؤم عِرْضَه فـكُلُّ رِداءٍ يَرْتديه جَمِيـلُ
و إن هو لم يَحمل عن النفس [٣] ضَيْمَها فليس إلى حُسْن الثَّنـاء سَبِيل

وقيل إنهما للسموءل .

بينه وبين عبد الله ابن الحسن

وذُكر أنه دَخل عبدُ الله بن الحَسن بن الحَسن بن علىّ بن أبى طالب، رضى الله عنهم ، على عُمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وهو حديثُ السّن ، وله وَفْرة [٤] . فرفع مجلسَه وأقبل عليه وقضى حوائجه ، ثم أخذ عُكْنة [٥] من عُكَنه فغمزها حتى أوجعه ، وقال له : أذكرْها عندك للشَّفاعة . فلما خَرج لامه أهلُه على هذا وقالوا : فعلتَ هذا بغُلام حَدَث . فقال : إنَّ الثِّقة حدَّثنى حتى كأنّى أسمعه مِن فِى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، قال : « إنّما فاطمةُ بَضْعةٌ منّى يسُرّنى ما يَسُرها » . وأنا أعلم أنَّ فاطمة لو كانت حَيّةً لسرّها ما فعلتُ بأبنها . قالوا :

(١) فى التجريد : « والله » . وما أثبتنا عن العقد الفريد .
(٢) فى غير التجريد : « ألف » . تحريف .
(٣) هذه رواية الحماسة والأمالى أيضاً . والرواية فى غيرها .
* وإن هو لم يرفع عن اللؤم نفسه *
(٤) الوفرة : الشعر الكثير . (٥) العكنة : من أطواء البطن .

فما معنى غَمزك بطنَه وقولِك ما قلتَ ؟ قال : إنه ليس أحدٌ من بنى هاشم إلّا وله شفاعة ، فرجوتُ أن أكون فى شفاعة هذا .

وحَكى يزيد بن عمر بن مُورِق قال :

كنتُ بالشام زمنَ وَلِى عُمَر بن عبد العزيز ، وكان بخُناصرة .(١) وكان يُعطى الغُرباء مائتى درهم . قال : فجئتُه فأجده مُتَّكئاً على إزار وكِساء من صُوف . فقال لى : ممَّن أنت ؟ قلت : من أهل الحجاز . قال : من أىّ أهل الحجاز ؟ قلتُ : من أهل المدينة . قال : من أيّهم ؟ قلت : من قُريش . قال : من أىّ قُريش ؟ قلت : من بنى هاشم . قال : من أىّ بنى هاشم ؟ قلت : مولى علىّ . فقال : مَنْ علىٌّ ؟ فسكتُّ . فقال : أبنُ أبى طالب ؟ قلت : نعم . فجلس وطَرح الكساء ثم وَضع يدَه على صدره وقال : وأنا والله مولى علىّ . ثم قال : أشهدُ على عددٍ ممن أدرك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » . أين مُزاحم ؟(٢) كم تُعطِى مثلَه ؟ قال : مائتا درهم . قال . أعطه خمسين ديناراً لولائه من علىّ . ثم قال : أفِى فَرْضٍ أنت ؟ قلت : لا . قال : فأفرِضْ له . ثم قال . ألْحِقْ ببلادك ، فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتى غيرَك .

هو ومسلمة فى احتضاره

وحكى العُتبى عن أبيه قال :

لما حضرتْ عمرَ بن عبد العزيز الوفاةُ جمع ولدَه حولَه ، فلما رآهم استعبر ثم قال : بأبى وأمى مَن خلّفتُهم بعدى فُقراء ! فقال له مَسلمةُ بن عبد الملك ابن مَروان : يا أمير المؤمنين ، فتعقَّب فِعْلك وأَغْنِهم ، فما يَمنعك أحدٌ فى حياتك ولا يرتجعُه الوالى بعدك . فنَظر إليه نَظر مُغْضَب مُتَعجِّب ثم قال : يا مَسلمة ،

(١) خناصرة من أعمال حلب . (٢) هو مزاحم بن أبى مزاحم ، مولى عمر بن عبد العزيز .

منعتُهم إيَّاه فى حياتى وأَشقى به بعد وفاتى ! إنّ ولدى بين رجلَين : إما مُطيعٍ لله فالله مُصلحٌ له شأنَه ورازقه ما يَكْفيه ، أو عاصٍ له فما كنتُ لأُعينه على معصية . يا مَسلمة ، إنِّى حضرتُ أباك — يعنى عبد الملك بن مروان — لمّا دُفن، فحملتْنى عيني عند قبره ، فرأيتُه قد أَفضى إلى أمرٍ من أمر الله راعنى وهالنى ، فعاهدتُ الله ألّا أعمل بمثل عمله إنْ وَليتُ ، وقد اجتهدتُ فى ذلك طول حياتى ، وأرجو أن أُفْضى إلى عَفوٍ من الله وغُفران .

قال مَسلمة بن عبد الملك : فلما دُفن حضرتُ دفنَه ، فلما فُرغ من شأنه حملتْنى عينى فرأيتُه فيما يرى النائم وهو فى رَوضة خضراء نَضِرة فيحاء وأنهار مُطَّرِدة وعليه ثيابٌ بِيض . فأَقبل علىّ وقال : يا مَسلمة ، لمثل هذا فَلْيعمل العاملون .

لمسلمة بعد وفاته

وقيل :

لمّا تُوفِّى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وَقف مَسلمةُ بن عبد الملك عليه بعد أن أُدرج فى كَفنه فقال : يَرحمك الله يا أمير المؤمنين ، فلقد أَورثتَ صالِحِنا بك اقتداء وهُدى ، وملأْت قلوبَنا بمَواعظك وذكرك خشيةً وتُقى ، وأَثَّلت لنا بفَضلك شرفاً وفخراً ، وأَبقيتَ لنا بعدَك فى الصالحين ذِكْرا .

وحكى مَسلمة بن عبد الملك قال :

كُنَّا عندعُمر بن عبد العزيز فى اليوم الذى مات فيه،أنا وفاطمةُ بنت عبد الملك — يَعنى زوجة عُمر — فقُلنا : يا أمير المؤمنين ، إنّا نرى أنّا قد مَنعناك النوم ، فلو تأخّرنا عنك شيئاً حتى تنام ؟ قال : ما أُبالى لو فعلتُما . قال ! فتنحَّيتُ أنا وهى ، و بيننا و بينه سِتراً ، فما نَشِبْنا أن سمعناه يقول : حَىٌّ الوُجوه ، حَىٌّ الوُجوه . فابتدرناه أنا وهى ، فجِئْناه وقد أُغمض ميِّتاً ، و إذا هاتفٌ يهتِف فى البيت لا نراه : (تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) .

قلت :

تعقيب لابن واصل فى موت عمر بن عبد العزيز

إن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وَلِى الخلافة بعهد من ابن عمّه لحًّا[1] : سليمان ابن عبد الملك بن مروان إليه و إلى يزيد بن عبد الملك بعده . فولى الخلافة سنة تسع وتسعين . وتُوفى سنة إحدى ومائة ، وكانت خلافته نحو سنتين ، لم يتمكّن من إقامة منار العدل كما يريد . وخافت بنو أمية أن يَنقُض قواعدهم فدسُّوا إليه من وضع على إبهامه سُمًّا ، فكان إذا أُستسقى الماء وضع إبهامه فى الماء . فمات مسموماً رضى الله عنه[2] .

(١) أى لازق النسب . (٢) وجاء بعد هذا :

« تم القسم الأول من تجريد الأغانى ويتلوه فى أول الثانى أخبار عدى بن الرقاع العاملى . والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

وكتب بحماة المحروسة ببقاء مالكها خلد الله سلطانه . وكان الفراغ منه لأربع خلون من جمادى الآخرة سنة ٦٦٦ هـ (ست وستين وستمائة) هجرية ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكاتبه الفقير إلى عفو الله ومغفرته محمد بن محمد بن النصيبى الحلبى عفا الله عنه . يسأل من نظر فيه أن يقف على الورق المكتوب فيه ليعذره فى عدم التمكن من تحرير أصول الكتابة » .

القسم الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

حسبي الله ونعم الوكيل

أخبار عدي بن الرقاع (*)

نسبه

هو عديّ بن زَيد بن مالك بن عَدِيّ بن الرِّقاع . ويَنتهى نسبُه إلى مُعاوية: ابن الحارث بن عديّ بن الحارِث بن مُرّة بن أُدَد .

وأُم مُعاوية بن الحارث : عاملةُ بنت وَدِيعة، من قُضاعة . وبها سُمِّى وَلدُ معاوية عاملة . ونُسب « عَديّ » إلى « الرِّقاع » وهو جَدُّ جدِّه ، لشُهرته .

منزلته فى الشعر

وعَديُّ بن الرِّقاع شاعرٌ مُتقدِّم عند بنى أُمية ، مَدَّاح لهم ، خاصٌّ بالوليد ابن عبد الملك . وله بِنت شاعرة يقالُ لها :سَلْمى . وجَعله ابنُ سلَّام فى الطَّبقة الثالثة من شُعراء الإسلام . وكان منزلُه بدمشق . وهو من حاضرة الشُّعراء ، لا من باديتهم .

بينه وبين جرير فى حضرة الوليد ابن عبد الملك

وذُكر أنّ جريراً دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عديُّ بن الرِّقاع العامِلىّ ، فقال له الوليد : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، فمن هو ؟ قال : هذا عديّ ابن الرِّقاع . قال فشَرُّ الثِّياب الرِّقاع ! فممَّن هو ؟ قال : مِن عاملة . قال : أمِن الذين قال الله عزَّ وجلّ فيهم : (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلَى ناراً حامية) ؟ ثم قال :

(*) وقبل هذا ساق أبو الفرج نسب الأشهب بن رميلة وأخباره ، ثم عاد إلى أخبار عمر بن عبد العزيز . ثم ذكر غناء الوليد ، ثم غناء الواثق ، ثم غناء المنتصر ، ثم غناء المعتز بالله .

يُقَصِّرباعُ العامِلِيِّ عن[١] العُلا ولـكنَّ أَيرَ العـامليِّ طويلُ

فقال عدىُّ بن الرِّقاع :

أأُمّك كانت أخبرتْك بُطوله أم أنت امرؤٌ لم تدْر كيف تقُولُ

فقال : لا ، بل أدرى كيف أقول .

فوَثَب عدىُّ بن الرِّقاع إلى رجل الوَليد بن عبد الملك فقبَّلها وقال : أَجِرْنى . فقال الوليد لجرير : لئن شتمتَه لأَسْرِجنَّك ولأُلْجمنّك حتى يَركبك فيُعيِّرك بذلك الشُّعراء . فلم يُصرِّح بهجائه وعَرَّض به ، فقال قصيدتَه التى أولُها :

* حَيِّ الهِـدَمْلة من ذات المَواعيس[٢] *

وقال فيها يُعرِّض به :

قد جَرَّبت عَرْكَتى فى كُل مُعْـتَرَكٍ غُلْبُ الأُسودِ فما بال[٣] الضَّـغابيسِ

ومنها :

أَقصِرْ فإنّ نِزاراً لن[٤] يُفاخرها فَرعٌ لئيمٌ وأَصلٌ[٥] غـيرُ مَغْروسِ

وابْنُ اللَّبُون إذا ما لُزَّ فى قَرنٍ لم يَسْـتطع صَوْلَةَ البُزْلِ[٦] القَناعيس

فضل عليه جرير كثيراً عند بعض الخلفـاء

وقيل :

ذُكر كُثيِّر عزّة ، وعدىّ بن الرَّقاع العاملىّ فى مجلس بعض خُلفاء بنى أُمية ،

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « الندى » مكان « العلا » .

(٢) الهدملة والمواعيس : مكانان .

(٣) الغلب : الأسود الغلاظ الرقاب ؛ الواحد : أغلب . والضغابيس : الضعفاء ؛ الواحد : ضغبوس .

(٤) فى الديوان و بعض أصول الأغانى : « يفاضلها » مكان « يفاخرها » .

(٥) الذى فى التجريد : « أصل لئيم وفرع ... » .

(٦) ابن اللبون : ولد الناقة إذا استكمل سنتين وطعن فى الثالثة ؛ لأن أمه وضعت غيره فصار لها لبن . وهو نكرة و يعرف بالألف واللام . والأنثى : ابنة لبون . والجماعات : بنات لبون ، للذكر والأنثى . والقرن : الحبل يقرن به البعيران . ولز فيه ، شد . والبزل ، بضمتين وسكن تخفيفاً : جمع بزول ، وهو البعير استكمل الثامنة وطعن فى التاسعة وفطر نابه ؛ من البزل ، وهو الشق ، لأن نابه إذا طلع يشق اللحم عن منبته شقا . والقناعيس : الجمال العظيمة الضخمة ؛ الواحد : قنعاس ، بالكسر .

فاَ متَرَوْا فيهما أيّهما أشعر ، وفى المجلس جرير ، فقال : أعجبكم عدىّ ! لقد قال كُثيِّر بيتاً هو أشهر وأعرف فى الناس من عدىّ بن الرِّقاع نفسه ، ثم أنشد قول كُثيِّر :

أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاح غُراب البَيْن أنتَ حزينُ

فخلف الخليفةُ لئن كان عدىُّ بن الرِّقاع أعرفَ فى الناس من بيت كُثيِّر ليُسرِجنَّ جريراً وليُلْجمنّه ولَيحملنّ عدىّ بنَ الرِّقاع على ظَهره . فكتب إلى وَاليه بالمدينة : إذا فَرغتَ من الخُطبة فَسل الناسَ : من الذى يقول :

أأن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاح غُراب البَين أنت حَزينُ

وعن نَسب عدىّ بن الرقاع . فلما فرغ الوالى من خطبته قال : إن أمير المؤمنين كتب إلىَّ أن أسألكم : مَن الذى يقول :

* أأن زُمّ أجمال وفارق جيرةٌ *

فاَ بتدرُوا من كُل جانب يقولون : كُثير ! كُثير ! ثم قال : وأمرنى أن أسألكم عن نَسب عدىّ بن الرقاع. فقالوا : لا نَدرى ، حتى قام أعرابى من مُؤخَّر المَسجد فقال : هو من عامِلة .

رأى ابن المنجم فيه

وذُكر عدىّ بن الرِّقاع عند محمد بن موسى المُنجِّم ، فقال : ما أحدٌ ذُكر لى فأحببتُ أن أراه فإذا رأيتُه أمرتُ بصَفعه ، إلا عدىّ بن الرقاع . قال الراوى[1] : فقلتُ : ولِمَ ذلك ؟ قال لقوله :

وَعلمتُ حتّى ما أُسائل عالماً عن عِلْم واحدةٍ لكى أزدادَها

فكنتُ أعرض عليه أصنافَ العُلوم ، فكلما مَرّ به شىء لا يُحسنه أمرتُ بصَفْعه .

(١) هوعلى بن يحى ، يروى هذا الخبر عن ابن المنجم .

حديث ابنته مع الشعراء الذين أرادوا معارضة أبيها

وذُكر أنّ عدىّ بن الرِّقاع كان ينزل الشام ، وكانت له بنتٌ تقول الشعر . فأتاه ناسٌ من الشُّعراء ليُماتِنوه[1] ، وكان غائباً . فسمعت ابنتُه ، وهى صغيرة لم تَبلغ ذَرْواً من وعيدهم[2] ، فخرجت إليهم وأنشأت تقول :

تَجمّعتُم من كُلِّ أوبٍ و بلدةٍ على واحدٍ لا زلتمُ قِرْنَ واحدِ

فأفحمتهم .

بين أبى عمرو بن العلاء و رجل فى استحسان شعره

وقيل :

أُنشد أبو عمرو بن العلا ، قولَ عدىّ بن الرِّقاع :

لولا الحَياء وأنّ رأسى قد[3] عَسَا فيه المَشِيبُ لزُرتُ أُمَّ القاسمِ

وكأنّها وَسْطَ النِّساء أعارَها عَينيه أحورُ مِن جآذر جاسِمِ

وَسْنانُ أقصده النُّعاس فرنَّقتْ فى عَينه سِنَةٌ وليس بنائم

فقال أبو عمرو : أحسنَ والله ما شاء ! فقال رجل يحضُر مجلسَه : والله لو رأيتُه مَشْبوحاً[4] بين أربعة ، وقُضْبان الدِّفْلَى[5] تأخُذه ، لكنتَ له أشدَّ استحساناً . يعنى إذا غُنِّى به على العود .

جفاه الوليد ثم رضى عنه لمدحه عبدة بن عبد الرحمن

وذُكر أنّ الوليد بن عبد الملك عَزل عُبيدةَ بن عبد الرحمن عن الأُرْدُنّ ، وضَربه وحَلقه وأقامه للناس ، وقال للمُوكَّلين به : مَن أتاه مُتوجِّعاً أو أثنى

(١) ليماتنوه : ليعارضوه .

(٢) ذروا : يسيراً . لغة فى : ذرء . يقال : أتانا ذرو من خبر ، أى يسير منه . وفى حديث سليمان بن صرد ، لعلى كرم الله وجهه : بلغنى عن أمير المؤمنين ذرو من قول تشذر لى فيه بالوعيد ، فسرت إليه جوادا . والعبارة : فى المطبوع من الأغانى : « دور وعيدهم » .

(٣) عسا : اشتد . (٤) الشبح : المد .

(٥) الدفلى : شجر حسن المنظر يكون فى الأودية ، وهو مما يقتدح به . وفى المثل : افدح بدفلى أو مرخ . ولعل « ريشات » العود كانت تتخذ من قضبانه وهى غضة .

عليه فأُتونى به . فأتاه عدىّ بن الرِّقاع ، وكان عُبيدة إليه مُحسِناً ، فوقف عليه وأنشأ يقول :

فما عَزلوكَ مَسبوقاً ولكنْ إلى الغَايات[1] سَبَّاقاً جَوادَا
وكنتَ أخِى وما ولدتْك أُمِّى وَصُولًا باذلًا لى مُسْترادا
فقد هِيضتْ بنَكْبتك القُدامى كذاك الله يَفعل ما أرادا

فوثَب إليه المُوكَّلون به فأَدخلوه على الوليد ، وأَخبروه بما جرى . فتغيَّظ عليه الوليدُ وقال : أَتمدح رجلًا قد فعلتُ به ما فعلتُ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كان إلىَّ مُحْسِناً ، ولى مُؤْثراً ، فى أىّ وقتٍ كنتُ أكافئه بعد هذا اليوم ! فقال : صدقتَ وكَرُمت ، قد عفوتُ عنك وعنه لك ، فخُذْه وانصرفْ به إلى منزله[2] .

(١) فى بعض الأصول : « الخيرات » .

(٢) إلى هنا ينتهى حديث ابن واصل عن «عدى بن الرقاع» . ويبدو أن ثم نقصاً ، أقله الشعر الذى فيه الغناء ، وقد عودنا ابن واصل أن يختم به أخبار من يترجم له . وشعر عدى بن الرقاع الذى فيه الغناء هو :

لعمرى لقد أصحرت خيلنا بأكناف دجلة للمصعب
فمن بك منا يبت آمناً ومن يك من غيرنا يهرب

ذكر بعض أخبار المعتز بالله

نسبه — هو أبو عبد الله محمد — وقيل : الزُّبير — بن المُتوكِّل على الله أبى الفضل جَعفر بن المُعتصم بالله أبى إسحاق محمد بن هارون الرشيد .

من وصفه — وكان أجملَ بنى العبّاس . وله شِعْر حَسن .

هو ويونس بن بغا — وذَكر يزيدُ المُهلَّبى قال :

كان المُعتزّ يَشرب على بُستان مَملوء من النَّمّام[1]، و بين النمّام شَقائق النعمان . فدَخل عليه يونُس بن بُغَا ، وكان جميل الصورة ، وكان المُعتزّ يَعشقه ، وعليه قَباء أَخضر . فقال المُعتزّ :

شَبَّهتُ حُمرةَ خـدِّه فى ثَوبه ... بشَـقائق النُّعمان فى النَّمّامِ

ثم قال : أَجيزُوا . فبدَر بَنانٌ المُغنِّى، فقال :

والقَدُّ منه إذا بَدَا فى[2] قَرْطَقٍ ... كالغُصْن فى لِينٍ وحُسْنِ قَوَامِ

فقال له المعتز : فَغنِّ الآن فيه لحناً .

وذُكر أنَّ المُعتز شَرب . ويونُس بن بُغا هـذا بين يديه يَسقيه ، والجُلساء والمغنُّون بين يديه ، إذ دَخل بُغَا والد يونُس ، فقال : يا أمير المُؤمنين ، والدة عبدك يونُس فى الموت ، وهى تُحب أنْ تراه ، فَأَذِن له . فخرج . وفَتر المُعتزُّ بعده و نَعس ، وقام الجُلساء وتفرّق المُغنُّون ، إلى أنْ صُلِّيت المَغرب . وعاد المعتز إلى

---

(١) النمام : نبت عطرى قوى الرائحة ، ولانتشار رائحته سمى : نماما .

(٢) القرطق : قباء ذو طاق واحد . معرب .

مجلسه ، ودَخل يونُس بن بُغا و بين يديه شُموع ، فلما رآه المُعتزُّ دعا برِطْل فشربه ، وسَقى يونس رطلاً . وعاد المجلسُ إلى أحسن ما كان . فقال المُعتزّ :

تَغِيبُ فلا أفرح فليتك لا تَبْرحُ
وإن جئت عذَّبتنى بأنّك لا تَسمح
فأصبحتُ ما بين ذَيْـ ـن ولى كَبِدٌ تُجْرَح
على ذاك يا سيِّدى دُنُوك لى أَصلح

ثم قال: غَنُّوا فيه . فجعلوا يُفكِّرون . فقال المُعتز لسُليمان بن القَصَّار الطُّنبورىّ : ألحان الطُّنبور أملحُ وأخفُّ . فغنِّ فيه . فغنَّى فيه لحناً . فدَفع إليه دنانيرَ الخَريطة ، وهى مائة دينار وزنها مائتان [1] ، مكتوب على كُل دينار منها : ضُرب هذا الدِّينار بالجَوْسق لخريطة [2] أمير المُؤمنين المُعتز بالله . ثم دعا بالخِلَع والجوائز لسائر الناس ، فكان ذلك المجلسُ من أحسن المجالس .

هو وابن بغا بعد مقتل بغا

وحكى عبدُ السَّميع الهاشمىّ قال :

لمّا قُتل بُغا دَخلنا فهنَّأنا المُعتزَّ بالظَّفر ، فأصبح ومعه يونُس بن بُغا ، وما رأينا وجهَيْن أحسنَ من وجهَيْهما . فما مضتْ ثلاثُ ساعات حتى سَكِر ، وخَرج علينا المعتزّ فقال :

ما إنْ ترَى مَنظراً إنْ شئتَه حَسناً إلّا صَرِيعاً يُهادَى [3] بين سُكْرَيْنِ
سُكْرِ الشراب وسُكْرٍ من هوى رَشَإٍ تَخَـاله والذى يَهْواه غُصْنَين

ثم أمر فغنّى فيهما بعضُ المُغنِّين.

(١) هذه رواية التجريد . وفى غيره : « دينار مكية ومائتان » .
(٢) أى ضربت لخزانته الخاصة .
(٣) يهادى : يتمايل .

هو وابن بغا مع ديرانى

وحكى العبّاس بن الفَضل [١] بن المأمون قال :

كنتُ مع المُعتزّ فى الصَّيد وانقطاعٍ [٢] عن الموكب : وأنا ويونُس بن بُغَا معه ، ونحن بقُرب قَنْطرة وَصيف ، وكان هناك دَيْر فيه دَيْرانىّ يَعرفنى وأعرفه ، نَظيف ظَريف مَليح الأدب واللَّفظ ، فشكا المُعتزُّ العَطش. فقلت: يا أمير المُؤمنين، فى هذا الدَّير دَيْرانىٌّ أعرفه، خفيفُ الرُّوح، لا يخلو من ماء بارد ، أفترى أن نَميل إليه ؟ فقال : نعم . فجئناه ، فأخرج لنا ماءً بارداً ، وسألنى عن المُعتز ويونُس. فقلت: فتيان من أبناء الجُند . فقال : بل مُفْلِتان من حُور الجنّة . فقلت له : هذا ليس فى دينك . فقال : هو الآن فى دينى . فضَحك المُعتز . فقال لى الدَّيرانى : أتأكلون شيئاً ؟ قلنا : نعم . فأخرج شطيرات وإداماً نظيفاً ، فأكلنا أطيبَ أكل وجاءنا بأَطْراف أُشْنان [٣] . فاستظرفه المُعتز وقال لى : قُل له فيما بينك وبينه : من تُحب أن يكون معك من هذين لا يُفارقك ؟ فقال : كلاهما وتَمراً . فضحك المُعتز حتى مال على حائط الدَّير . فقلتُ للدَّيرانى : لا بُد أن تَختار . فقال : الاختيار والله فى هذا دَمار ، وما خَلق الله عزَّ وجل عقلاً يُميز بين هذين . ولحقهما الموكبُ ، فارتاع الدَّيرانى . فقال له المُعتز : بحياتى لا تَنقطع عمّا كُنّا فيه ، فإنى لِمَن ثَمَّ مولًى ، ولِمن ها هنا صديق . فمزَحنا ساعةً ، ثم أمر له بخمسمائة ألف دِرهم ، فقَبلها وقال : والله ما أقبلها إلا على شَرط . قال : وما هو ؟ قال : يُجيب أمير المُؤمنين دعوتى مع مَن أراد . قال : ذلك لك . فاتعدنا ليومٍ جئناه فيه، فلم يُبْقِ غايةً ، وأقام للموكب كُلّه ما احتاج إليه ، وجاءنا بأولاد النصارى يخدُموننا ، ووصله المُعتز يومئذ صلةً سريّة ، ولم يزل يعتاده ويُقيم عنده .

(١) فى بعض الأصول : « الفضل بن العباس » .

(٢) فى بعض الأصول : « فانقطع » .

(٣) الأشنان : نبات من الحمض ، تكسر همزته وتضم ، والضم أعلى .

له لما بويع

وذُكر أن المُعتز بالله بُويع بالخِلافة وعُمره سبعَ عشرةَ سنة وشهورا ، فلمّا انقضت البَيعة قال :

توحّدنى الرحمنُ بالعزِّ والعُلاَ فأصبحتُ فوقَ العالَمين أميرَا

تعقيب لابن واصل

قلت :

إن المتوكل كان قد جَعل المُنتصر ولىّ عَهده ، و بعده المُعتزّ ، و بعده المؤيَّد. وهؤلاء الثلاثة أولاد المُتوكل . فلما قَتلت التركُ المُتوكل بمواطأة ابنه المُنتصر على ذلك ، بويع المُنتصر بالخِلافة ، فلم يَبق فيها إلا ستةَ أشهر ومات مَسموماً — على ماقيل — وخافت التُّرك، إن ولى المُعتز أن يقتَلهم بأبيه المُتوكل ، فعدَلوا عنه إلى ابن عمّه المُستعين بالله أحمد بن محمد المُعتصم ، فأقام مدةً ، ثم جرت أُمور اقتضت خوفَه من التركِ فهَرب من سُرَّ من رأى إلى بغداد ، و بايع الأتراكُ بسُرّ من رأى المُعتزّ بالله ، وبَعث الجيوش إلى بغداد فحاصروا المُستعين بها ، ثم وقع الصلحُ على أنْ خَلع المُستعين نفسَه ، ووقع الإجماعُ على المُعتز بالله ، ثم حُمل المستعين إلى واسط فقُتل بها ، وحُمل رأسُه إلى المُعتزّ بالله ، ولم تَطُل أيام المُعتزّ إلا نحوَ ثلاث سنين ، ثم قَبضت الأتراك عليه فخَلعوه وقَتلوه وولَّوا ابن عمّه المُهتدى بالله محمدَ بن الواثق، وكان يَتشبَّه بعُمر بن عبد العزيز فى ديانته وزُهده . وأقام خليفةً سنةً ، ثم قَتله الأتراكُ وولَّوا ابن عمِّه المُعتمد على الله أحمد بن المُتوكل .

ذكر بعض أخبار الفرزدق

نسبه — وهو همّام بن غالب بن صَعْصعة بن ناجية بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع ابن دَارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناةَ بن تَميم

لقبه — والفرزدقُ لقبٌ غَلب عليه .

حديث زواجه من النوار — وهو وجرير والأخطل أشعرُ طَبقات الإسلاميّين . وأخبارُه تُذكر فى موضع آخر من هذا الكتاب . و إنما ذكر أبو الفرج ها هنا أخباراً تتعلق بشعر فيه الغناء ، وهو :

ليس الشَّفيع الَّذى يأتيك مُؤتزراً ... مثلَ الشَّفيع الذى يَأْتيك عُرْيانَا

ذُكر أنّ رجُلاً من بنى أُميـة خَطب النَّوار بنت أَعْيَن المُجاشعيّة ، فرضيتْه وجعلتْ أمرَها إلى الفرزدق . فقال لها : أَشهِدى على نَفسك شُهودا . ففعلتْ . واجتمع الناسُ لذلك . فتكلّم الفرزدقُ وقال : أشهدوا أنى قد تزوّجتُها وأَصدقتُها كذا وكذا ، فإنّى أنا ابْن عمِّها وأحقُّ بها . فبلغ ذلك النَّوارَ ، فَأبتْه واستترت من الفرزدق ولجأت إلى بنى قَيس بن عاصم المِنْقرىّ ، فقال فيها :

بَنى عاصمٍ لا تُلْجئوها فإنكم ... ملاجىء للسَّوآتِ[1] دُسْمُ العَمائمِ

بنى عاصمٍ لو كان حيًّا أبوكُم ... للاَم بَنيه اليومَ قيسُ بن عاصمِ

فقالوا للفَرزدق : واللهِ لئن زِدْتَ على هـذين البَيْتين بيتاً واحـدا لنقتُلنَّك غِيلةً . فنافرتْه النوارُ إلى عبد الله بن الزُّبير ، فلمّا قدمتْ مكةَ نزلتْ على زَوجته

(١) يكنى بدسامة العمامة عن الوسخ والقذارة .

تُماضر بنت مَنظور بن زَبّان ، فاستشفعت بها إلى زَوجها عبد الله بن الزُّبير . فقَصد الفرزدقُ حمزةَ بن عبد الله بن الزُّبير ، وأُمه بنت منظور هذه ، ومَدحه الفرزدقُ فقال :

أصبحتُ قد نزلتْ بحمزةَ حاجتي إنّ المُنوَّه باسمه المَوْثوقُ

فجعل أمر النَّوار يَقْوى ، وأمرُ الفرزدق يضعفُ ، فقال الفرزدقُ :

أمّا بنَوه فلم تُقْبل شفاعتُهم وشُفِّعت بنتُ مَنْظورِ بن زَبّانَا

ليس الشَّفيع الذى يأتيك مُؤتزراً مثلَ الشَّفيع الذى يأتيك عُرْيانا

فبلغ ذلك الزُّبيرَ ، فدعا النَّوارَ فقال : إن شئت فرقتُ بينكما وقتلتُه فلا يهجونا أبدا ، وإن شئتِ سيّرتُه إلى بلاد العدوّ ؟ فقالت : ما أُريد واحدةً منهما . قال : فإنه ابنُ عَمِّك وهو فيك راغب ، فأُزوّجه إياك . قالت : نعم . فزوّجه إياها . فكان الفرزدقُ يقول دَخلنا مُتباغضين وخَرجنا مُتحابَّين .

وقد قيلَ إنّ تُماضر التى عناها الفرزدق ، أُم خُبَيب وثابت ، ابنى عبد الله بن الزُّبير . وماتت عند عبد الله ، فتزوّج أُختها أُمَّ هاشم ، فولدت له حَمزة وهاشماً وعبّاداً ، وفى أُم هاشم يقول الفرزدق ، يَستعينها على ابن الزبير ويشكو طُول مُقامه :

تَزوّحتِ الرُّكبان يا أُمَّ هاشمٍ وهُنَّ مُناخاتٌ لهنّ حَنينُ

وخُيِّسْنَ(١) حتى ليس فيهنّ نافقٌ لبَيعٍ ولا مركوبُهنّ سَمينُ

وهذا يدُلّ على أنّ النَّوار كانت استعانت بأُم هاشم لا بتُماضر . فلما أُذِنتْ النوارُ لابن الزُّبير فى تَزْويجها بالفَرزدق حَكم عليه لها بمَهرِ مِثلها عشرةِ آلاف درهم . فسأل : هل بمكةَ أحدٌ يُعينه على ذلك . فدُلّ على سَلْم بن زِياد بن أبيه ، وكان ابن الزبير حَبسه ، فقال فيه :

(١) خيسن : لم يسرحن .

دَعِى مُغْلِقِى الأبواب دون فعالِهِم ومُرِّى تَمَشَّىْ بى ـ هُبِلْتِ ـ إلى سَلْمِ
إلى مَن يرى المعروفَ سهلاً سبيلُه ويَفعلُ أفعالَ الكِرام التى تَنْمِى

ثم دَخل على سَلْم فأنشده . فقال : هى لك، ومثلُها لِنَفقتك. فأمر له بعشرين ألف دِرْهم . فقالت له زوجتُه أُم عثمان بنت عبد الله بن عَمرو بن العاص : أتُعطى عِشرين ألفَ درهم وأنت مَحْبوس ! فقال :

ألاَ بكَرَتْ عِرْسى تَلُوم سَفاهةً عَلَى ما مضَى منِّى وتأمُر بالبُخْلِ
فقلتُ لها والجودُ منِّى سجيةٌ وهل يَمنع المعروفَ سُؤَّالَه مِثْلى
ذَرِينى فإنِّى غيرُ تاركٍ شِيمتى ولا مُقْصِرٍ عن السَّماحة والبَذْلِ
ولا طارِدٍ ضيفى إذا جاء طارقاً وقد طَرَق الأضيافُ شَيْخِى مِن قَبلى
أأبخَلُ ! إنّ البُخل ليس بمُخْلِدِى ولا الجود يُدْنينى إلى المَوت والقَتْلِ

زواجه بحدراء

فاصطلح الفرزدق ونَوار ورضيتْ به ، وساق إليها مَهرها ، ودَخل بها وأحبلها قبل أن يخرُج من مكة . ثم خَرج بها وهما عَدِيلان فى مَحْمِل ، فكانت لا تزال تُشارُّه وتُخالفه ، لأنها كانت صالحةً حسنةَ الدين ، وكانت تكره كثيراً من أمره . فتزوّج عليها حَدْراء بنت زِيق بن بِسْطام بن قَيس بن مَسعود بن قَيس ابن خالد بن عبد الله بن عَمرو بن الحارث بن هَمّام بن مُرة بن ذُهل بن شَيبان، على مائة من الإبل . فقالت له النَّوار : ويلك ! أتزوَّجت أعرابيةً دقيقةَ السَّاقين بوّالة على عَقَبَيْها على مائة بعير ! فقال الفرزدق ، يُفضِّلها عليها ويُعيِّرها بأُمها ، وكانت أَمةً :

لجاريةٌ بين السَّليل عُروقها وبين أَبى الصَّهباء[1] من آل خالدِ
أحقُّ بإغلاء المُهور من التى رَبَتْ وهى تَنْزُو فى حجُور الوَلائد

(١) السليل : ابن قيس ، أخو بسطام . وأبو الصهباء : بسطام بن قيس .

وقال أيضاً يمدحها :

عَقيلةٌ من بـنى شَيبانَ تَرفعها ... دعائمٌ للعُـلاَ من آل هَمّـامِ
مِن آل مُرَّةَ بين المُستضاء بهم ... من رَهْطِ صيدٍ مَصاليتٍ وحُكَّام
بين الأحاوص[1] من كَلْبٍ مُركَّبها ... و بين قَيس بن مَسعودٍ و بِسْطام

موت حدراء

فاشترى الإبل وساقها . فلمّا كان فى بعض الطريق ، ومعه أَوْفى بن خِنْزير ، أحدُ بنى التَّيْم بن شَيبان ، دليلُه ، رأى كبشاً مَـذْبوحاً ، فقال : هلكتْ واللهِ حَدْراء ! فقال : مالك بذلك من عِلْم ! فلما بَلغ، قال له بعضُ قومها : هذا البيتُ فانزل ، فأمّا حَدراء فهلكتْ ، وقد عرفنا الذى يُصيبكم فى دِينكم من ميراثها ، وهو النِّصف ، وهو لك عندنا . قال : لا والله لا أَرزأ من ذلك قِطْميرا ، وهذه صَدقتُها[2] فاقبضوها . فقالوا : واللهِ يا بَنى دارم ما صاهرْنا أكرمَ منكم . وكانت حَدراء هذه نَصرانية ، وهى التى يقول فيها الفرزدق :

عَرَفْتَ بأَعشاشٍ[3] وما كِدْتَ تَعْرِف ... وأَنكرتَ من حَدْراء ما كُنتَ تَعْرِفُ
ولَجّ بك الهِجرانُ حـتى كأنمـا ... تَرى الموتَ فى البيتِ الذى كنتَ تَأْلَف

بينه وبين أنصارى عارضه بشعر لحسان

وكان فتى من الأنصار اعترض الفرزدَق بالمدينة فقال له : بَلغنى أنك أشعرُ العرب ! وتزعُم مُضر ذلك لك ، وقد قال صاحبُنا حسّان بن ثابت شعراً ، فأردتُ أن أعرضَه عليك وأُؤجِّلك سنةً ، فإنْ قُلت مثلَه فأنت أشعرُ العرب، وإلا فأنتَ كذّاب مُنْتحل . ثم أنشده قولَ حسّان :

لنا الجَفنات الغُرُّ يَلْمعن بالضُّحى ... وأَسيافُنا يَقْطُرن من نجدةٍ دَمَا
متى ما تَزُرنا من مَعَدٍّ[4] عصابةٌ ... وغَسّان[5] تَمْنعْ حوضَنا أن يُهدَّما

(١) الأحاوص ، أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وهم : عوف ، وعمرو ، وشريح ، وربيعة . (٢) الصدقة : المهر . (٣) أعشاش : موضع . (٤) فى التجريد : « بعصبة » .
(٥) غسان ، هنا : فى موضع المقسم به ، لأنها لم تكن تغزوهم مع معد .

فعمل الفرزدقُ القصيدةَ الفائية ، ففلج بها .

حسان والخنساء والأعشى فى سوق عكاظ عند النابغة

ثم ذكر أبو الفرج حكايةَ للخنساء تتعلّق بشعر حسّان هذا ، فنذكرها .

قيل : إن نابغة بنى ذُبيان كانت تُضرب له قُبة من أدم بسُوق عُكاظ ، ويَجتمع إليه فيها الشُّعراء ، فدخل حَسّان بن ثابت ، وعنده الأعشى ، وقد أنشده شعرَه ، فأنشدته الخنساء قولَها :

* قذًى بعينك أَم بالعَيْن عُوَّار *

حتى انتهت إلى قولها :

و إن صخراً لمولانا وسيدنا ... و إنّ صخراً إذا نَشْتُو لنَحَّارُ
و إنّ صخراً لتأتّم الهُداة به ... كأنّه عَلَمٌ فى رأسه نَار

فقال : لولا أنّ أبا بصير أنشدنى قبلَك لقلتُ : إنك أشعرُ العرب ! أنتِ والله أشعرُ من كُل ذات مَثانة [1] . فقالت : إى والله ، وأشعر من كل ذى خُصْيتين . فقال حسّان : أنا والله أشعرُ منك ومنها ومن أبيك ! قال: حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :

لنا الجَفناتُ الغُرّ يَلْمعن فى الضُّحى ... وأسيافُنَا يَقْطُرْن من نَجدةٍ دَمَا
ولَدْنا بنى العَنقاء وابنَىْ مُحرِّق ... فأكْرِمْ بنا خالاً وأكرِم بنا ابْنَمَا

فقالت الخنساء : إنك لشاعر لولا أنك قُلت « الجفنات » فقلّلت العدد ، ولو قلت « الجفان » لكان أكثر . وقلت: « يلمعن فى الضحى» . ولو قلت «يبرقن فى الدجى » لكان أبلغ فى المديح ، لأنّ الضيف باللّيل أكثر . وقلت « يقطرن من نجدة دما » فدللت على قلّة القَتل ، ولو قلت « يجرين » لكان أكثر

(١) يريد موضع الولد من الأنثى .

لأنصباب الدم . وفخرت بمن ولدتَ ولم تفخر بمن وَلَدك . فقام حسّان منكسراً مُنقطعا .

تعقيب لابن واصل

قلت : أنظر إلى هذا النقد البديع من هذه المرأة وجَودة معرفتها بالشعر !

وذُكر أنها كانت تُنشد الأبياتَ الرائيّة المذكورة وهى تَهتزّ فى مِشيتها وتنظُر فى أعطافها .

ومن هذه القصيدة

حامِي الحَقيقة مَرْضيّ الطَّريقة مَحْ مود الخَليقة نفّاع وضَرّارُ

بينه وبين كثير

وذُكر أن الفرزدق لقى كُثيِّراً فقال له : ما أشعرَك يا كُثير فى قولك :

أُريد لأَنسى ذكرها فكأنما تمثّل لى ليلى بكُل سَبيلِ

يُعرِّض له بسَرقته إياه من جَميل :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لى ليلى على كُل مرَقَبِ

فقال له كُثير : أنت أشعرُ منّى يا فرزدق فى قولك :

ترى الناسَ ما ساروا يسيرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى النـاس وقّفُوا

وهذا البيت لجميل ، سرقه الفرزدق منه . فقال الفرزدق لكُثير : هل كانت أُمك مَرّت[1] بالبصرة ؟ فقال : لا . ولكنْ أبى كان نزيلاً لأُمك .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ترد البصرة » .

أخبار دريد بن الصمة

[ج ٩]

نسبه

وأسم الصِّمَّة مُعاوية الأصغر بن الحارث بن مُعاوية الأكبر بن بكر بن عَلْقَمة[1] بن خُزاعة بن غَزِيّة بن جُشَم بن بكر بن هَوازن .

وهو فارس شُجاع شاعر فَحْل . وكان أطولَ الفُرسان الشعراء غزوا[2] ،وأبعدهم سفراً ، وأكثرهم ظفراً ، وأيمنهم نَقيبةً عند العرب . وأشعرَهم ، دريدُ بن الصِّمّة .

موته يوم حنين

وذُكر أنه غَزا مائةَ غَزاة ما أخفق فى واحدة منها ، وأدرك الإسلام فلم يُسلم ، وخَرج مع قومه مُظاهراً للمُشركين يوم حُنَين ، ولا فَضل فيه للحرب ، لـكِبَر سنّه ، و إنما أُخرجوه تَيمُّناً به وليَقْتبسوا من رأيه ، فمَنعهم مالك بن عوف قَبول مَشُورته وخالَفه لئلّا يكونَ له ذِكْر . فقُتِلَ دُريد يومئذٍ على شِرْكه .

وسيأتى ذِكر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى .

إخوته ومقتلهم

وكان لدُريد إخوة ، وهم : عبد الله، الذى قَتلتْه غطفان ؛ وعبد يغوث ، قتلتْه بنو مُرة ؛ وقيس ، قَتلتْه بنو أبى بكر بن كِلاب ؛ وخالد ، قتلتْه بنو الحارث ابن كَعْب .

أمهم

أُمهم جميعاً ريحانةُ بنت مَعديكرب الزَّبيدى ، أُخت عمرو بن مَعديكرب . وكان الصمة سَباها ثم تزوَّجها ، فأولدها بَنيه . و إيّاها يعني عمرو بن مَعديكرب بقوله :

---

(١) ويقال : « علقة » .

(٢) فى التجريد : « غزية » .

أمن رَيْحانةِ الدَّاعى السَّميع يُؤَرِّقنى وأصحابى هُجُوعُ
إذا لم تَسْتطع شيئاً فَدَعْه وجاوِزْه إلى ما تَسْتطيع

ابنه وبنته

وكان لدُريد ابْنٌ يقال له : سَلَمة . وكان شاعراً ، وهو الذى قَتَل أبا عامر الأشعرىّ [1] رحمه الله يوم حُنين . وكان لدُريد بنتٌ شاعرة ، ولها فيه مراثٍ كثيرة .

رأى أبى عمرو فى شعر له فى الصبر على النوائب

وذُكر أن أبا عمرو بن العلاء كان يقول :

أحسن شِعرٍ قيل فى الصبر على النوائب قولُ دُريد بن الصمة :

تقول ألا تبكى أخاك وقد أرى مكانَ البُكا لكن بُنيتُ على الصَّبرِ
لَقتلِ عبد الله والهالك الذى على الشَّرف الأعلى قتيلِ أبى بكْر
وعبدِ يَغوث أو خَليلىَ خالدٍ وعَزَّ مُصاباً حَثْوُ قبرٍ على قَبر
أبَى القتلَ إلّا آلُ صِمَّة إنهم أبَوْا غيره والقَدْرُ يَجْرى إلى القَدْر
فإمّا تَرَيْنا لا تزال دماؤنا لدى واترٍ يشقى [2] بها آخرَ الدَّهر
فإنّا لَلَحْم السَّيف غيرَ نَكيرةٍ ونَلْحَمُه [3] حِيناً وليس بذى نُكْر
يُغَار علينا واترين فيُشْتَفَى بنا إن أُصِبْنا أو نُغِيرَ على وِتْر
بذاك قَسَمْنا الدَّهر شَطْرَيْن [4] بيننا فما يَنْقضى إلّا ونحن على شَطْر

وكان السبب فى قَتل عبد الله أنه غَزا غَطفانَ يوم اللِّوى ، ومعه بنو جُشَم و بنو نَصْر بن مُعاوية ، فَظَفِر بهم وساق أموالَهم ، ومَضى بها . فلما كان غيرَ بعيد قال : أنزلوا بنا . فناشده أخوه دُريدٌ اللهَ ألّا ينزلَ ، فإن غَطفان ليست بغافلة عن أموالها . فأقسم لا يَرِيم حتى يأخذ مِرْباعه [5] ، ويأكل ويُطْعِم ويَقْسِم

(١) هو ابن عم أبى موسى .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « يسقى » .
(٣) نلحمه : نطعمه اللحم .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : « قسمة » مكان « بيننا » .
(٥) المرباع : ربع الغنيمة ، وهو حظ الرئيس فى الجاهلية .

البقيَّة بين أصحـابه . فبينا هم فى ذلك ، وقد سَطَعت الدَّواخُن ، إذ أقبلت إليهم عَبس وفَزارة وأشجع ، فالتقوا بالمُنْعَرج من رُمَيـلة اللِّوى واقتتلوا ؛ فقُتل عبد الله ابن الصِّمّة ، وذَب عنه أخوه دُريد فلم يُغْنِ شَيئاً . وجُرِح دُريد فسَقط ، فكفُّوا عنه ، وهم يرون أنه قد قُتل . واستنقذوا المال ونجا مَن هَرب . فلما كان الليلُ مَشى دُريد وهو ضَعيف قد نَزفه الدمُ . فمرّ فى جماعة تسير ، فدَخل بين عُرْقوبى بَعيرٍ ظَعينة ، فنَفر البعيرُ ، فقالتْ : أعوذ بالله منك ! فلا تنسب لهـا ، فأعلمت الحىّ بمكانه . فغُسِل عنه الدَّم وزُوِّد زاداً وسُقِى ، فنَجا .

وذُكر أنّ المرأة كانت فَزَاريّة ، وأنّ الحَىّ عَلِموا بمكانه فتَركوه ، فداوتْه المرأةُ حتى بَرأ ولَحق بقومه .

شعره فى رثاء أخيه

وقال دُريد بن الصمّة يَرْثى أخاه عبدَ الله بقَصيدة طويلة أولُها :

أَرَثَّ جديدُ الحَبل مِن أُم مَعبدِ ... بعاقِبةٍ[1] وأَخلفتْ كُلّ مَوْعِدِ

وبانت ولم أَحْمد إليك جِوارَها ... ولم تَرْجُ منّا رِدَّةَ اليوم أو غَد

ومنها .

أعاذلتِي كلُّ امرىء وابنُ أُمِّه ... متـاعٌ كزاد الراكب المُتزوِّد

أعاذل إن الرُّزء أمثـالُ[2] خالد ... ولا رُزْء ممّا أهلك المرء عن يَد

نَصَحتُ لعارضٍ وأصحاب عارض[3] ... ورَهط بنى السَّوداء والقومُ شُهَّدى

فقلت لهم ظُنُّوا بألْفَى مُـدَجَّج ... سَراتُهم فى الفارسىّ[4] المُسرَّد

أمرتُهمُ أمرى بمُنْعَرَج اللِّوى ... فلم يَسْتبينوا الرُّشْد إلّا ضُحَى الغَد

فلما عَصَوْنى كنتُ منهم وقد أَرى ... غَوايتَهم وأَنَّنى غيرُ مُهْتَـدى

(١) بعاقبة : أى بأخرة .

(٢) خالد ، من أسماء عبد الله ، وسيأتى أنه كان يسمى أيضاً : عارضاً ومعبداً .

(٣) هم أصحاب أخيه .

(٤) فى الأصل : «السابرى المسود» . والمسرد : المتتابع الحلق فى النسج . يعنى دروعا .

وهل أنا إلّا من غَزِيّة إن غوتْ ... غويتُ وإن تَرْشُد غَزِيّةُ أَرْشُد
دعانى أخى والخيـلُ بينى و بينه ... فلمـــا دَعانى لم يَجِـدنى بقُعْدُد
تنادَوْا فقالُوا أَرْدَتِ الخيلُ فارساً ... فقلتُ أعبـدُ الله ذلـكمُ الرَّدِى
فإنْ يَـكُ عبـدُ الله خلَّى مكانَه ... فما كان وقّافاً ولا طائشَ اليَـد
ولا بَرِماً إذا الرِّياحُ تنـــاوحتْ ... بَرَطْبِ العِضَاه والهَشِيم[1] المُعضَّد
نظرتُ إليـــه والرِّماح تَنوشُه ... كَوَقْعِ الصَّياصِى[2] فى النَّسِيجِ المُمدَّد
فما رِمْتُ حتى خَرَّقَتْنى رماحُهم ... وغُودرتُ أكبُوفى القَنا[3] المُتقصِّد
قِتـال امرىء واسَى أخاه بنفسه ... ويَعْلَم[4] أنّ المرء غيرُ مُخلَّد
صَبور على وَقْعِ النَّوائب[5] حافظٌ ... من اليوم أعقابَ الأحاديث فى غَد

تمثـل على بن أبى طالب ببيت له

وذُكر أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لما اختلفت كلمةُ أصحابه فى أمر الحكَمَيْن : أبى موسى الأشعرى وعمرو بن العاص ، وتفرّقت الخوارج وقالوا له : إنّا كفرنا نحن وأنت فى تحكيم الحكَمَيْن ، فتُب من ذلك وارجع عن تحكيم الحكَمَيْن ، وعُدْ بنا إلى قتال عدوّك واعترف بأنك كفرت إذ حكّمت . فلم يقبل منهم ، وفارقوه وخالفوه ، تمثّل رضى الله عنه بقول دُريد بن الصمّة :

* أمرتُهم أمرى بمُنْعرج اللِّوى *

والبيتَيْن اللذين بعد هذا البيت .

أسماء عبدالله وكناه

وقيل :

كان لعبد الله بن الصمّة ثلاثة أسماء وثلاثة كنى : عبد الله ، ومعبد،[6] وخالد ،

---

(١) البرم : الضجر . وتناوح الرياح : هبوبها مرة يميناً ومرة شمالا . والعضاه : شجر عظيم له شوك . والهشيم : النبت اليابس المتكسر . والمعضد : المقطع .

(٢) تنوشه : تتناوله . والصياصى : جمع صيصية ، وهى شوكة الحائك التى يسوى بها السداة واللحمة .

(٣) المتقصد : المتكسر .

(٤) فى بعض أصول الأغانى : « وأيقن » .

(٥) فى بعض أصول الأغانى : « المصائب » .

(٦) الذى فى شرح الحماسة (٢ : ١٥٦) : « عارض » .

وأبو ذُفافة ، وأبو فُرْعان ، وأبو أوْفى . وقد ذكر دُريد كُل ذلك فى شعره .

وقيل : إن أُم معبد التى ذكرها دُريد فى القصيدة ، هى زوجتُه ، وكانت رأته شديدَ الجَزع على أخيه عبد الله ، فعاتبتْه على ذلك وصغّرت شأن أخيه وسبّته . فطلّقها وقال فيها :

* أرثّ جديدُ الحَبل من أُم مَعْبد *

البيتين اللذين هما أول هذه القصيدة .

حربه غطفان ثأراً لأخيه وشعره فى ذلك

وذُكر أن دُريد بن الصمّة أغار بعد قتل أخيه عبد الله على غَطفانَ يُطالبهم بدَمه ، فاستَقْراهم (١) حيًّا حيًّا ، وقَتَل من بنى عَبْس ساعدةَ بن مُرّة ، وأسر ذؤاب بن أسماء بن زَيْد بن قارب ، أَسره مُرّة بن عوف الجُشميّ . فقالت بنو جُشم : لو فاديناه (٢) ! فأبى ذلك دُريد وقَتله بأَخيه عبد الله . وقَتل من بنى فَزارة رجلاً يقال له : حِزام ، وإخوةً له ؛ وأصاب جماعةً من بنى مُرّة ، ومن بنى ثَعلبة بن سَعد ، ومن أحياء غَطفان . فقال دُريد فى ذلك من قصيدة :

جَزينا بنى عَبْس جزاءً مُوفَّرًا ... بمَقتل عبد الله (٣) يومَ الذَّنائبِ

ولولا سوادُ اللَّيل أدركَ رَكْضُنا ... بذى الرِّمْثِ والأَرْطَى (٤) عِياضَ بن ناشِب

قَتلنا بعبد الله خيرَ لِداته ... ذُؤابَ بنَ أسماء بنِ زَيد بن قارب

عبدالملك بن مروان وشعر لدريد

وذُكر أنه أنشد عبدُ الملك بن مروان هذا البيتَ الأخير ، فقال : كاد دُريد أن يَنْسُب ذُؤابَ بن أسماء إلى آدم ! ولمّا أنشد البيت الأوسط قال : ليت الشمس كانت ثَبتت له قليلاً حتى أدركه .

من شعره فى هذه الوقعة

وقال أيضاً :

قَتلنا بعبد الله خيرَ لداته ... وخيرَ شَباب الناس لو ضُمّ أجمعا

(١) استقراهم : تتبعهم .
(٢) فاداه : أطلقه وقبل فديته .
(٣) يوم الذنائب : من أيام العرب .
(٤) الرمث والأرطى : نبتان . وذو الرمث : موضع .

ذُؤابَ بنَ أسماءَ بنِ زيد بنِ قارب منيّتُه أَجْرَى إليها[1] فأَوْضعا

هو وأمه فى ثأر قيس

وذُكر أنّ ريحانَة بنت مَعديكرب قالت لأبنها دُريد بن الصمة، بعد سنة من مقتل أخيه عبد الله : يا بُنى، إن كنت عجزتَ عن طلب الثأْر بأَخيك فأستعن بخالك وعَشيرتك من زُبيد. فأَنف من ذلك وحَلف لا يَكتحل، ولا يَدَّهن، ولا يَمسّ طِيباً، ولا يأكل لحماً، ولا يشرب خمراً، حتى يُدرك ثأره . فغزا هذه الغَزاة وجاءها بذُؤاب ابن أسماء فقتله بفنائها ، وقال : هل بلغت مافى نفسك ؟ قالت : نعم ، مُتِّعتُ بك .

مقتل قيس بن الصمة

وأما السبب فى قتل قيس بن الصمة ، فإنه غَزا فى جماعة من رَهطه من بنى جُشم ، فأغاروا على إبلٍ لبنى كَعب بن أبى بكر بن كِلاب، فأنطلقوا بها . وخَرج بنو أبى بكر ابن كِلاب فى طَلبها ، حتى إذا دنَوْا منها ، قال عمر بن سُفْيان الكِلابى ، وكان حازماً عاقلاً : أُمكثُوا . ومَضى هو مُتنكِّراً حتى أتى رجلاً من رَهط قيس بن الصمّة ، فسلّم عليه وأستسقاه وأنتسب له هِلالياً ، وسأله عن قومه وأين مَرعى إبلهم ، وأعلمه أنه قد جاء رائداً لقومه يُريد مجاورتَهم . فخبَّره الرجلُ بكُل ما أراد . ورَجع إلى قومه ، وقد عرف بُغيته . فصَبح القومَ بنو كِلاب فظفروا بهم ، وقَتلوا قيس بن الصمّة، وأرتجعوا أموالهم ، وذَهبوا بإبل آل الصمّة .

فقَيس هذا هو الذى ذَكره دُريد فى شعره ، وهو قَتيل أبى بكر[2] ، أى آل أبى بكر .

مقتل عبد يغوث

وأما عبد يَغوث بن الصمّة ، فإنه كان يَنزل بين أَظهُر بني الصَّادر فقَتلوه . وذَكره أيضاً دُريد فى شعره .

مقتل خالد

وأما خالد ، فإن بنى الحارث بن كَعب غزتْ بنى جُشَم بن مُعاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم، فقتلت بنو الحارث خالدَ بن الصمّة ، قتلتْه أَحْمَسُ بطنٌ من شنوءة ، وكان دُريد بن الصمّة أغار عليهم فظَفِر بهم ، وأستاق إبلَهم وأموالَهم ، وسَبى

(١) أجرى إليها : قصد إليها . والإيضاع من السير : السريع .

(٢) انظر شعر دريد (ص ١١١٨) من هذا الجزء .

نساءهم وملأ يَدَيْه وأيدى أصحابه ، ولم يُصَب أحدٌ ممن كان معه إلّا خالداً عمّه ، رماه رجلٌ منهم بسَهم فقتله . وخالد بن الصمّة هو المذكور فى شعر دُريد فى قوله : « أو خليلى خالد[1] » .

حديث خطبة الخنساء

وذُكر أنّ دريد بن الصمة مَرّ بالخَنساء الشاعرة ، واسمها تُماضر بنت عمرو ابن الشَّريد ، وهى تَهنأ بعيراً لها ، وقد تبذَّلت ، حتى فرغت منه ، ثم نَضت عنها ثيابها فاغتسلت ، ودُريد بن الصمة يراها وهى لا تشعر به ، فأُعجب بها ، وانصرف إلى رجاله وأنشأ يقول :

حَيُّوا تُماضِرَ وارْبَعوا صَحْبى ... وقِفُوا فإنّ وُقوفَكم حَسْبى
أخُنَاسُ قد هام الفؤادُ بكم ... وأصابه تَبْلٌ من الحُبّ
ما إنْ رأيتُ ولا سمعتُ به ... كاليوم طالىَ أيْنُقٍ جُرب
مُتبذِّلاً تَبْدو محاسنُه ... يَضَع الهِناء مَواضِعَ[2] النُّقْب
مُتحسِّراً نَضَح الهِناء به ... نَضْحَ العَبِير بَرَيْطةِ[3] العُطْب
فَسَلِيهمُ عنّى خُناسُ إذا ... عَضّ الجميعَ الخَطْبُ ما خَطْبى

فلما أصبح غدا على أبيها فخَطبها منه . فقال له أبوها : مرحباً بك أبا قُرّة ! إنّك لَلْكريم لا يُطعَن فى حَسَبه ، والسيّد لا يُرَدّ عن حاجته ، والفَحل لا يُقْدَع أنفُه ![4] ولكن لهذه المرأة فى نَفسها ما ليس لغيرها ، وأنا ذاكرُك لها ، وهى فاعلةٌ . ودَخل إليها فقال : ياخنساء ، أتاك فارسُ هَوازنَ وسيّد بنى جُشَم ، دُريد ابن الصمّة يخطُبك ، وهو مَن تعلمين . فذُكر أنها قالت له : أَنْظِرْنى حتى أُشاور

(١) انظر شعر دريد (ص ١١١٣) من هذا الجزء .
(٢) الهناء : القطران . والنقب : قطع الجرب المتفرقة .
(٣) العطب ، بالضم وبضمتين : القطن . وفى بعض أصول الأغانى : « العصب » .
(٤) يقدع أنفه : يضرب بالرمح وغيره ؛ يفعل هذا بالفحل غير الكريم إذا أراد الناقة ، ليحمل عليها غيره . يريد أنه كريم .

نَفَسى ، فإن وجدتُ بَولَه قد خَرق الأرض ففيه بقيّـة ، و إن وجدتُه قد ساحَ على وجهها فلا فضلَ فيـه . فأتَّبعتْه وليدتُها ، ثم عادت إليها فقالت : وجدتُ بولَه قد ساحَ على وجه الأرض . فأمسكت . فعاود دُريد أباها . فعاودها أبوها . فقالت له: يا أبة ، أتُرانى تاركة بنى عمّى مثل عوالى الرِّماح وناكحةً شَيخَ بنى جُشم هامةَ اليوم أو غد[1] ! فخرَج إليه أبوها وقال : يا أبا قُرَّة ، قد أمتنعتْ ، ولعلّها أن تُجيب فيما بعد . وكان دُريد يسمع قولَها حين قالت لأبيها هـذه المقالةَ ، فقال : قد سمعتُ قولَـكما ، وانصرف .

هو فى آخر عمره وشعره فى ذلك

وذُكر أن دُريد بن الصمة أسنّ وجَعـل له قومُه بيتاً مُنفرداً عن البُيوت ، ووكّلوا به أَمةً تَخدُمه ، فـكانت إذا أرادت أن تُبْعد فى حاجةٍ قيَّدته بقَيد الفرس . فدَخل إليه رجلٌ من قومه ، فقال له : كيف أنت ؟ فأنشأ يقول :

أصبحتُ أقذِفُ أَهداف المَنُون[2] كما ... يَرْمى الدَّريئـةَ[3] أَدْنَى فُوقةِ الوَتَرِ
فى مَنْصَفٍ[4] من مَدَى تِسْعين من مائة ... كَرْمِيَة الـكاعِب العَـذْراء بالحَجر
فى منزلٍ نازح م الحيّ مُنتَبـذٍ ... كَمرْبَط العَـيْر لا أُدْعى إلى خَـبر
يُمْضون أَمرهمُ دونى وما فَقَـدوا ... منّى عزيمـةَ أمرٍ ما خَلا كِبَرى
ونَومةً لست أَقضيها و إن[5] مَتُعت ... وما مَضى قبلُ من شَأْوى ومن عُمُرى
وأنّنى رابَنى قَيـدٌ حُبِسْتُ به ... وقد أكونُ وما يُمشَى على أَثَرى
إن السِّـنين إذا قَرَّبْن من مائة ... لَوَيْن مِرَّة[6] أحوالٍ على مِرَر

بينه وبين زوجته بعد ما أسن

وذُكر أنّ زَوجة دُريد بن الصمّة قالت له : قد أَسْنَنْتَ وضَعُف جِسْمك ،

(١) الهامة : روح القتيل – فيما تزعم العرب – الذى لم يدرك بثأره تزقوعند قبره تقول : اسقونى اسقونى . فإذا أدرك بثأره طارت . ويقال : هامة اليوم أوغد . أى يموت اليوم أو غدا .
(٢) فى الأصل : «المئون» .
(٣) الدريئة : الحلقة يتعلم عليها الرامى الرمى . . وفوقة السهم . حيث يقع الوتر من رأسه .
(٤) منصف : وسط . (٥) متعت : طابت . (٦) المرة : طاقة الحبل .

وقُتل أهلُك ، وفَنِي شبابُك ، ولا مالَ لك ولا عُدّة[1] ، فعَلَى أىّ شىء تُخلِّف أهلَك إنْ قُتلت ؟ فقال دُريد :

أَعاذلَ إنما أفنَى شَبابِي ... رُكوبِي فى الصّريخ إلى المُنادِى
مع الفِتْيان حتّى كَلّ جِسْمى ... وأقْرح عاتِقِى حَمْلُ النِّجاد
أعاذلَ إنّه مالٌ طَريفٌ ... أحبُّ إلىَّ من مالٍ تِلاد
ويَبْقَى بعد حِلْم القوم حِلْمى ... ويَنْفَد[2] قبل زاد القَوم زادى

غزوة حنين ومقتل دريد

ذكر غزوة حُنين ومقتل دريد بن الصمة :

قيل : لمّا افتتح رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مكةَ أقام بها خمسَ عشرةَ ليلة يقصُر الصلاة ، وكان فَتْح مكة لعَشْر ليالٍ بَقين من شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة . ولما سمعت هَوازن برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، جَمعها مالك ابن عَوف النَّصرى ، واجتمعت إليه ثَقيف مع هوازن . ولم يجتمع إليه من قيس إلّا هوازنُ وناسٌ قليل من بنى هِلال ، وغابت عنها كَعْب وكِلَاب ، فجمعت نَصْرٌ وجُشَمُ وسَعْد و بنو بكر وثَقيف واحتشدت ، وفى بنى جُشَمَ دريدُ بن الصمة شيخٌ كبير فانٍ ، ليس فيه إلّا التَّيمن برأيه ومَعرفته بالحرب ، وكان شُجاعاً مُجَرِّباً . وفى الأحلاف قاربُ بن الأسود بن مَسعود ، وفى بنى مالك ذو الخِمار سُبيع ابن الحارث ، وجِماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف النَّصرى . فلمّا أجمع مالكٌ المسيرَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حَطَّ مع الناس أموالهم وأولادهم . فلما نزلوا بأوطاس[3] اجتمع إليه الناسُ وفيهم دُريد بن الصمة فى شِجَارٍ[4] له . فقال لهم دُريد : بأى وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأَوطاس . قال : نِعْمَ مَجال الخَيل ، ليس بالحَزْن

(١) فى الأصل : « جدة » . وهى اليسار والسعة . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « ويغنى » .
(٣) أوطاس : واد بديار هوازن . (٤) الشجار : مركب أصغر من الهودج .

الضَّرِس ، [١] ولا السَّهل الدَّهِس [٢] . مالى أسمع رُغاء البعير [٣] ، ونُهاق الحمير ، و بُكاء الصَّغير ، وثُغاء الشاء ! قالوا : ساقَ مالكُ بن عَوف مع النّاس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . فقال : أين مالكٌ ؟ فدُعى له به . فقال : يا مالك ، إنك أصبحتَ رئيسَ قومك ، و إن هذا يومٌ كائن له ما بعده من الأيام ، مالى أسمعُ رُغاء البعير ، ونَهيق الحمير ، و بُكاء الصِّبيان ، وثُغاء الشاء ؟ قال : سُقت مع النـاس نساءهم وأبناءهم وأموالهم . قال : و لِم ؟ قال : أردتُ أن أجعلَ خَلف كُل رجلٍ أهلَه وماله ليقاتل عنهم . قال : فأَنْقَض به [٤] ووبّخه ولامه ، وقال : راعى ضَأْنٍ والله ! — أىْ أحمق — وهل يَرُدُ المُنهزم شىء ! إنها إن كانت لك لم يَنفعك إلا رجل بسَيفه ورُمْحه ، و إن كانت لهم عليك فُضِحت فى أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلتْ كَعبٌ وكلاب ؟ قال : لم يَشهدها منهم أحـد . قال : قال : فاتَ [٥] الجِدّ والحدّ [٦] ! لو كان يومَ علاء ورفعة لم تَغِب عنه كَعب وكِلاب ، ولوددْتُ أنكم فعلتُم مثلَ مافعلوا ، فمَن شَهدها منهم ؟ قالوا : بنو عَمرو بن عامر ،و بنوعَوف بن عامر . قال : ذانك الجَذَعان [٧] من عامر ، يضُرّان ولا ينفعان . ثم قال : يا مالك ، إنك لم تَصنع بتَقديم البَيْضة [٨] بَيضة هَوازنَ إلى نُحور الخَيـل شيئاً ، أرفعهم إلى أعلى بلادهم وعَلْياء قَومهم ، ثم أُلق القوم بالرِّجال على مُتون الخَيـل ؛ فإن كانت لك لَحِق بك مَن وراءك ، و إن كانت عليك كنتَ قد أحرزت أهلَك ومالَك ولم تُفْضَح فى حَريمك . فقال : لا والله ، لا أفعـل ذلك أبداً ، إنك قد خَرِفْت وخَرِف رأيُـك وعلمُـك ، والله لتُطيعُنّى يا معشرَ هوازن ، أو لاتكـئنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظَهرى — ونَفِس على دُريد بن الصمة أن يكون له فى ذلك اليوم

(١) الضرس : الصعب .
(٢) الدهس : اللين السهل .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الإبل » .
(٤) أنقض به : صاح .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : «غاب » .
(٦) الحد ، أى الشجاعة والحدة .
(٧) الجذع : الحدث الشاب .
(٨) البيضة : أصل القوم .

ذِكْر ورَأْى — فقالوا : أطعناك وخالفنا دُريداً . فقال دُريد : هذا يومٌ لم أَشْهده ولم أَغِبْ عنه ! وقال رجَزه الذى فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار دُريد ابن الصمة ، وهو :

يا ليتَنى فيها جَذَعْ أَخُبُّ فيها وأَضَعْ[1]
أَقُود وطْفاء الزَّمَعْ كأنها شاةٌ صَدَعْ[2]

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى لقائهم من مكة ومعه أثنا عشر ألفاً ، منهم عشرة آلاف هم الذين فَتح بهم مكة ، ومنهم ألفان هم مُسْلمة الفتح من قُريش وغيرهم .

ولما رأى بعضُ المسلمين كثرة جَيش رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال : لن يُغلب هؤلاء من قلّة . فلما لَقيهم المشركون أنهزم المسلمون ، وثبت رسولُ الله صلّى الله عليه ، وهو راكبٌ بَغلته الدُّلدل ، ومعه العبّاس عمّه رضى الله عنه . فأَمره أن ينادى الأنصار ليرجعوا ، وكان جَهير الصوت ، فنادى بأعلى صوته : يا أنصارَ الله ! فرجَعوا رضى الله عنهم كارِّين على عدوِّهم كالإبل تعطف على أولادها مائةً مائةً ، وتَراجع المُسلمون ، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَخذ من حَصْباء الوادى فحَصب به وجوه المشركين وقال : «شاهت الوجوه !» واستعرت الحرب ، وَتطاول رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم على بَغلته ينظرُ مُجتلد القوم . فقال : « الآن حَمِى الوطيس » . وهذا من أمثاله صلّى الله عليه وسلم المُختَصّة به ، وأَنزل الله نَصره ، وأيّده بالملائكة ، وانهزم المُشركون أقبح هزيمة . فأتوا الطائف ومعهم مالكُ ابن عوف ، وعَسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجّه بعضُهم نحو نَخلة[3] . وتبعت خيلُ

(١) الخبب والوضع : ضربان من السير .

(٢) وطفاء : كثيرة الشعر . والزمع : الشعر المدلى فى مؤخر رجل الشاة والعنز . وصدع : فتية قوية .

(٣) هى نخلة اليمانية . (ياقوت) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم مَن سلك نَخلة ؛ فأدركه ربيعةُ بن رُفيع السُّلمى - أحدُ بنى يَربوع بن شمَّال بن عَوْف ، وهو غلام شاب - دُريدَ بن الصمة ، فأخذ بخِطام جَمله ، وهو يظُن أنه امرأة ، وذلك أنه كان فى شِجارٍ له ، فأناخ به ، فإذا هو رجل شيخٌ كبير ؛ ولم يعرفه الغُلام . فقال له دريد : ماذا تُريد ؟ قال : أقتلُك . قال : ومَن أنت ؟ قال : ربيعةُ بنُ رُفيع السُّلمى . فأنشأ دُريد يقول :

وَيْحَ ابن تَكمة[1] ماذا يُريد ... من المُرْعَشِ الذَّاهب الأَدْرِدِ
فأُقسم لو أنّ بى قوةً ... لظلّت[2] فرائصه تُرْعَد
ويا لَهْف نفسىَ ألا تكونَ ... معى قوّةُ الشامخ[3] الأمرد

ثم ضَربه السُّلمىّ بسيفه ، فلم يُغْنِ شيئاً . فقال له دُريد : بئس ما سَلَّحَتْك أُمُّك ! خُذ سيفى هذا من مُؤخَّر رَحلى فى القِراب فاضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدِّماغ ، فإنى كذلك كنتُ أضربُ الرجال ؛ فإذا أتيتَ أُمك فأخبرها أنك قَتلت دُريد بن الصمّة ، فربّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءك .

وحُكى عن ربيعة أنه قال :

لما ضربتُ دُريد بن الصمّة بالسيف سقط فتكشّف ، فإذا عِجَانُه[4] وبطن فَخِذَيه مثل القَراطيس من رُكوب الخَيل .

فلما رجع ربيعةُ إلى أُمه أخبرها بقَتله إياه . فقالت له : لقد أعتق قَتيلُك ثلاثاً من أُمهاتك .

وبَعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فى آثار مَن توجَّه قِبَلَ أوطاس ، أبا عامر

(١) فى غير التجريد : « أكة » . (٢) فى بعض أصول الأغانى : « لولت » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « الشارخ » وهو الشاب .
(٤) العجان : الدبر . وقيل : هو ما بين الدبر والقبل .

الأشعرىّ ـ عم أبى موسى الأشعرى ـ فهَزمهم الله وفَتح على المُسلمين . ورَمى سلمةُ ابن دُريد بن الصمة أبا عامر بسهم فأَصاب رُكبته فقَتله .

شعر عمرة ابنته فى رثائه

وقالت عمرة بنت دُريد بن الصمّة تذكُر قتل السُّلمى أباها :

جَزى عنّا الإلهُ بنى سُليم ... وأَعقْبهم بما فَعلوا[1] عَقَاقِ

وأَسقانا إذا سِرْنا إليهم ... دِماء خيارهم يومَ التَّلاقى

فرُبَّ مُنَوِّهٍ بك من سُلَيم ... أُجيبَ وقد دعاك بلا[2] رَماق

ورُبَّ كريمةٍ أعتقتَ منهم ... وأُخرى قد فككتَ من الوَثاق

(١) العقاق ، بالبناء على الكسر : العقوق .

(٢) الرماق من العيش : البلغة والقليل يمسك الرمق .

أخبار إبراهيم بن العباس الصولي (*)

نسبه وولاؤه

هو إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صُول . وكان صُولٌ رجلاً من الأتراك ، ففتح يزيدُ بن المُهلَّب بن أبي صُفْرة بلدَه ، وأسلم على يَده . فهم مَوالي يزيد .

ولمّا ظهر يَزيدُ بن المهلَّب بالعراق ودَعا إلى نفسه وخَلْع يزيد بن عبد الملك ، أتاه صُول لينصُرَه ، فصادفه وقد قُتل . وكان يُقاتل كُلَّ مَن بينه وبين يَزيد من جيش بني أُمية ، ويكتُب على سِهامه : صُولٌ يدعوكم إلى كتاب الله وسُنّة رسوله . فبلغ ذلك يزيدَ بن عبد الملك ، فاغتاظ وجعل يقول : ويلي على أبن الفَلفاء ! وماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ! ولعلّه لا يَفقه صلاته .

شيء عن محمد بن صول

وكان محمّد بن صُول من رجال الدَّولة العباسية ودُعاتها ، وقد كان بعض أهليهم ادّعوا أنهم عربٌ ، وأنّ العبّاس بن الأحنف خالهُم .

صول وفيروز

وقيل : كان صُول وفَيْروزٌ أخوَيْن ملكَيْن[1] على جُرْجان ، وكانا تُركيَّيْن ، تَجسَّا وتَشبَّها بالفُرس . فلما حَضر يزيدُ بن المُهلَّب جُرْجان أَمَّنهما ، فأسلم صولٌ على يده ، ولم يَزل معه حتى قُتل يوم العَقْر[2] .

تتمة الحديث عن محمد بن صول

وكان محمد بن صُول ، ويُكنى أبا عُمارة ، أحدَ الدُّعاة . وقتله عبد الله بن عليّ ابن عبد الله بن العبّاس لما خالف مع مُقاتِل بن حَكيم العَكّي وعدَّةٍ آخرين .

إبراهيم وأخوه عبد الله

وكان إبراهيم بن العبّاس بن محمد بن صُول ، وأخوه عبد الله ، من وجُوه

(*) ساق أبو الفرج قبل أخبار «إبراهيم» طائفة من أخبار المعتضد في لحن ، وهي لا تعدو الصفحة .

(١) في بعض أصول الأغاني : « ملكا » .

(٢) موضع عند كربلاء .

الكُتّاب ، وكان عبد الله أسنَّهما وأشدَّهما تقدُّماً ، وكان إبراهيم آدبَهما وأحسَنهما شعراً ، وكان هو وأخوه من صنائع ذى الرياستين الفَضل بن سَهل ، اتصلاَ به فرَفع منهما ، وتنقَّل إبراهيمُ فى الأعمال الجليلة إلى أن مات وهو يتقلَّد ديوان الضِّياع والنَّفقات بسُرَّ مَن رأى فى نِصف شعبان سنةَ ثلاثٍ وتِسعين ومائتين .

ما كان يستحسنه دعبل من شعر إبراهيم

وكان دِعبل يَستحسن قولَ إبراهيم بن العبّاس :

إنّ امرأً ضَنَّ بمعروفه ... عنّى لَمبذولٌ له عُذْرِى
ما أنا بالرَّاغب فى عُرفه ... إنْ كان لا يَرغب فى شُكرى

ما كان بين إبراهيم ومحمد الزيات وهجاء إبراهيم

وذكر أن إبراهيم الصولى كان صديقاً للوزير محمد بن عبد الملك الزيّات ، ثم آذاه وقصده ، وصارت بينهما شَحناء عظيمة لا يُمكن تلافيها ، فكان إبراهيم يَهجوه . فمن قوله فيه :

أبَا جَعفرٍ خَفْ خَفضةً بعد رِفعةٍ ... وقَصِّر قليلاً عن مدَى غُلوائكَا
لئن كان هذا اليومُ يوماً حويتَه ... فإنّ رجائى فى غدٍ كرجائكا

وله فيه :

دعوتُك فى بَلْوَى ألمَّت صروفُها ... فأوقدتَ من ضِغْنٍ علىَّ سَعيرَها
وإنّى إذا أدعوك عند مُلمَّةٍ ... كداعيةٍ عند القبُور نَصيرَها

وقال فيه لما مات :

لمّا أتانى خَبَرُ الزَّياتِ ... وأنّه قد صار فى الأموات
أيقنتُ أنّ موتَه حياتِى

شعره لبعض من هجره

وقيل :

لما انحرف محمدُ بن عبد الملك الزيّات عن إبراهيم بن العبّاس تحاماه الناسُ أن يلقَوْه ، فكتب إلى بعضِ إخوانه ، وقد هجره فيمن هجره :

تَغيَّر لى فيمن تَغيَّر حارثُ ... وكم من أخٍ قد غيرته الحوادثُ
أحارثُ إن شوركتُ فيك فطالما ... غَنِينا وما بَيني و بينك ثالِث

من جيد شعره

ومن جيد شعر إبراهيم :

خَلِّ النِّفاق لأهله ... وعليك فالتمس الطَّريقا
واذهبْ بنفسك أن تُرَى ... إلا عدوًّا أو صديقا

ومن جيد شعره :

أميلُ مع الذِّمام على ابن[1] عمِّى ... وأحمِل للصَّديق على[2] الشَّقيقِ
أفرِّق بين معروفى ومَنِّى ... وأجمع بين مالى والحُقوق
و إن ألفيتَنى حُرًّا مُطاعاً ... فإنك واجدِى عبدَ الصَّديق

شعره إلى رجل معتذر

وأعتذر إليه رجلٌ بعُذر ، فلم يَقبل عُذره وكتب على ظَهر ورقته :

أبداً مُعتذرٌ لا يُعْذَر ... ورُكوبٌ للذى[3] لا يُغْفَرُ
ومُلَقًّى بمساوٍ كُلُّها ... منه تَبدو و إليه تَصْدُر
هى من كُل الورَى مُنكَرةٌ ... وهى منه وحدَه لا تُنْكَر

رثاؤه ابنه

وقيل إنه كان لإبراهيم بن العبّاس ابن قد يفَع وترعرع ، وكان به مُعجَباً ، فمات فقال فيه :

مَن شاء بعدك فَلْيمُتْ ... فعليك كنتُ أحاذرُ
كنت السوادَ لمُقلتى ... فبكى عليك الناظر

شعره فى هبة عبد الله الصولى

وذُكر أن عبد الله بن العبّاس الصُّولى وهَب لأخيه إبراهيم ثُلث ماله ، ووهَب لأُخته الثُّلث الآخر ، وأبقى لنفسه الثلث . فقال إبراهيم فى ذلك :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ابن أمى » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « وآخذ للصديق من » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « للتى لا تغفر » .

ولكنّ عبدَ الله لما حَوى الغِنى وصار له من بين إخوته مالُ
رأى خَلَّةً منهم تُسَدُّ بمـــاله فساهَمهم حتى اُستوتْ بهمُ الحال

وقد عِيب على إبراهيم اُبتداؤه فى الشعر بلفظة « ولكن » وقد كرّره فى موضع آخر ، فقال :

ولكنّ الجَواد أبا هشـــام وفىٌّ العَهد مأمونُ[1] الغُيوبِ
بَطِىءٌ عنك ما اُستغنيْت عنه وطَلّاعٌ عليك مع الخُطوب

وهذا شعر فى غاية الحُسن ، ولم يَشِنْه إلا الاُبتداء بلفظة « لكن » فإنها تَقتضى مُقدَّم كلام .

بينه و بين المتوكل وقد طلب إليه وصف القصور الإبراهيمية

وذَكر على بن يحيى :

أن المُتوكل بعث إلى إبراهيم بن العبّاس يأمُره أن يَصف له القُدور الإبراهيميّة — وقد كان اُبتدعها — فكتب إليه صفتها ، وكتب فى آخرها فى ذكر الأبازير : «ووزن دانَق» ، وأُنسى أن يكتُب من أى شىء . فلما وصلت إليه الصِّفة ، اُغتاظ ثم قال لعلى بن يَحيى : اُحلف بحَياتى أن تقول ما أمرُك به . ففعل . فقال : قل له : وزن دَانق أى شىء ؟ أمن بَظْر أُمك ؟ قال علىٌّ بن يحيى : فدخلتُ إليه فقلتُ : إنّى قد جئتُك فى رسالةٍ عزيز علىّ أن أُؤدِّيها . فقال : هاتِها . فأدّيتُها . قال : فارجع إليه فقل له : يا سيدى ، إن علىّ بن يحيى صَديقى وأخى ، وقد أدَّى الرسالةَ ، فإن رأيتَ أن تَجعل وزن الدَّانق من بَظر أُمى و بظر أُمه جميعاً تفضّلت ؟ فقلت : قَبحك الله ! وأنا أَيْشِ ذَنْبى ! قال : قد أدّيتَ الرِّسالة وهذا جوابُها . قال : فدخلتُ إلى المُتوكل ، فقال : إيهِ ، ما قال لك ؟ فقلت : قَبَح الله ما جئتُك به ! وأخبرتُه بالجواب . فضَحك حتى خَمص برِجْله ، وجعل يَشرب

(١) فى بعض أصول الأغانى : «المغيب» مكان « الغيوب » .

عليه بقيّة يومه ، فإذا لقيتهُ قال لى : يا علىّ ، وزن دانق أيش ؟ فأقول : لعنةُ الله على إبراهيم !

شعره فى الحسن بن وهب وهو مخمور

وقيل : نَظر إبراهيمُ بن العبّاس إلى الحسن بن وَهْب ، وهو مخمور ، فقال له :

عينـاكَ قد حَـكَتا مَبِيـ ـتَك كيف كنتَ وكيف كانَا
ولرُبّ عـينٍ قـــد أرتْـ ـك مَبِيتَ صاحبهـا عِيانَا

من جيد شعره

ومن جيّد شعر إبراهيم بن العبّاس ما كتب به إلى مُحمد بن عبد الملك الزيات:

وكنتَ أخى بإخاء الزمانِ فلمّا نَبا صِرْتَ حَرباً عَوانَا
وكنتُ أُذمّ إليـك الزمانَ فأصبحتُ فيك أُذمُّ الزّمانا
وكنتُ أُعِـدّك للنائبـات فهأنا [1] أطلُب منك الأمانا

ومن جيّد شعره قولُه :

رَدَّ قولى وصـدَّق الأقوالا وأَطـاع الوُشاة والعُـذّالا
أتُراه يـكون شهرَ صُـدود وعلى وَجْهه رأيتُ الهِـلالا

معنى شعر سرقه ابن دريد وابن الرومى منه

وقال أبو الفرج :

أنشدتُ عمّى أبياتاً لابن دُريد يمدح بها رجلاً من أهل البصرة :

يا مَن يُقبِّل كفَّ كُلِّ مُخرِّق هـذا ابنُ يحيى ليس بالمِخْراقِ
قَبِّـــل أناملَه فلسن أناملاً لـــكنّهن مفـاتحُ الأرزاق

فقال : يا بُنى ، هذا سَرقه هو وابن الرُّومى جميعاً من إبراهيم بن العبّاس ، قال إبراهيم يَمدح الفَضلَ بن سَهل :

لفضلِ بن سهل يَدٌ تَقاصَر منها الأملْ
فباطنُهـــا للنّدى وظاهرُها للقُبَـل
وبَسْطتُهـا للغِنَى وسطوتُها للأَجل

(١) فى بعض أصول الأغانى : « فأصبحت » .

وسَرقه ابنُ الرومى فقال :

أصبحتُ بين خَصاصةٍ ومَذلَّةٍ والحُرّ بينهما يَموت هَزِيلاَ
فامْدُد إلىّ يداً تعوَّد بَطنُها بَسْطَ النَّوالِ وظَهْرُها[1] التَّقبيلا

رأى ثعلب فيه

وحَكى الصُّولىّ قال : سمعتُ أحمد بن يحيى ثعلباً يقول :

كان إبراهيم بن العبّاس من أَشعر المُحدثين ، وما روى ثعلبٌ شعرَ كاتبٍ قطُّ غيرَه ، وكان يَستحسن كثيراً قوله :

لنا إبلٌ كُومٌ[2] يَضيق بها الفَضا ويَفترُّ عنها أرضُها وسَماؤها
فمِن دُونها أن تُستباح دِماؤنا ومن دوننا أن تُستباح دِماؤها
حِمًى وقِرًى فالموتُ دون مَرامها وأَيسرُ خطبٍ يومَ حقَّ فَناؤُها

ثم قال : والله لو كان لبعض الأوائل لا ستُجيد له .

رأى ابن طاهر فيه

وذُكر أن عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان يقول :

لا نعلم لقديمٍ ولا مُحدث فى قِصَر الليل أحسنَ من قول إبراهيم بن العبّاس :

وليلةٍ من اللَّيالى الزُّهْرِ قابلتُ فيها بدرَها ببَدْرِ
لم تك غير شَفَقٍ وفَجْرِ حتى تولَّت وهى بِكْر الدهر

من شعره فى الفضل ابن سهل

ومن جيّد شعر إبراهيم بن العبّاس فى الفَضل بن سهل ذى الرِّياستين :

فلو كان للشُّكر شخصٌ يَبينُ إذا ما تأمَّله الناظِرُ
لمثَّلته لك حتى تراه فتعلم أنّى امرؤٌ شاكِر
ولكنّه ساكنٌ فى الضَّمير يُحرِّكه الكَلِمُ السَّائر

مدحه للمتوكل وولاة عهده

ولما عَقد المُتوكِّل ولايةَ العهد بعده لبنيه الثلاثة : المُنتصر ، والمُعتز ، والمُؤيّد ، مَدحه ومَدحهم إبراهيم بن العبّاس بقوله :

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بذل الندى وظهورها » .
(٢) كوم : ضخمة عظيمة السنام ؛ الواحد : أكوم ، والأنثى كوماء .

أضحت عُرى الإسلام وهى مَنوطةٌ بالنَّصر والإعزاز والتَّأييدِ
بخليفةٍ من هاشمٍ وثلاثةٍ كَنفوا الخلافةَ من وُلاة عُهود
قَمَرٌ توافتْ حولَه أقمارُه فَحَفَفْن مطلَع سَعده بسُعود
رَفعتهمُ الأيامُ وارتفعت[1] بهم فسمَوْا بأكرمِ أنفُسٍ وجُدود

فأمر له المُتوكِّل بمائة ألف دِرْهم ، وأمر له وُلاة العُهود بمثلها .

ومن جيّد شعر إبراهيم بن العبّاس قولُه : ومن جيد شعره

أسدٌ ضـــارٍ إذا هَيَّجتَه وأبٌ بَرٌّ إذا ما قَـدَرَا
يعرف الأبعدَ إن أثرى ولا يعرِف الأدْنى إذا ما افتقَرَا

وله ، وهو فى غاية الحُسن :

تَلِجُ السّنون بيوتَهم وترى لهم عن جار بيتهم أزورارَ مَناكِبِ
وتراهمُ بسُيوفهم وشِفارهم مُستَشْرفين لراغبٍ أو راهب
حامِين أو قارِين حيث لقِيتَهم نَهْبَ العُفاة ونُهْزةً للرَّاغب

وذُكر أنّ إبراهيم بن العبّاس كتب فى رسالة عن المُعتصم إلى بعض أصحاب الأطراف ، فقال فى فصل منها : وإن عند أمير المؤمنـــين فى أمرك أناةً ، فإن لم تُغْن عقّب بعدها وعيدا ، فإن لم يُغن أغنت عزائمه . وله إلى بعض أصحاب الأطراف وهو شعره الذى فيـــه الغناء

وكتب ذلك وهو يظُنه نثراً ، فلما تأمّله رآه شِعْراً وأنه بيت نادر ، وعُمل فيه لحن وغُنّى به .

وهذا البيتُ هو الذى افتتح به أبو الفرج أخبار إبراهيم بن العبّاس[2] .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « وارتفعوا به » .
(٢) البيت : أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائمه